الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique Et Populaire

وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف – ميلة-

معهد الآداب واللغات

قسم اللّغة والأدب العربي

المرجع:.....

بلاغـة الجمـلة في التّعبيـر النّبـوي عنـد الرّافـعي

-قراءة وصفية في كتاب : إعجاز القرآن والبلاغة النّبوة-

مذكرة مقدمة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: لسانيات تطبيقية

- إشراف الدكتـور :

- الخثير داودي

-إعداد الطالبتين:

-هـاجر علاقـة

-عبلـة دريـدي

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ

الْأَكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

العلق (1-5)

منزلة عربيــة النبي ﷺ

"هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونُزّه عن التكلف، استعمل المبسوطَ في موضع البسط والمقصورَ في موضع القَصْر، وهجر الغريبَ الوحشيَّ، ورغب عن الهجين السُّوقيّ؛ فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشُدَّ بالتأييد، ويُسّر بالتوفيق، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبَّة عليه وغَشَّاء بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام هو مع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى مُعاودته، لم تسقط له كلمةٌ، ولا زَلَّت له قدم، ولا بارَت له حُجَّة، ولم يَقُم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذُّ الخُطَب الطّوال بالكلام القصير. ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجُّ إلا بالصدق، ولا يطلب الفلَج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المؤاربة، ولا يَهْمزُ ولا يَلْمزُ، ولا يُبْطئُ ولا يَعْجل، ولا يُسْهب ولا يَحْصر؛ ثم لم يسمع الناس كلام قط أعمَّ نفعًا ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا. ولا أفصحَ عن معناه، ولا أبينَ في فَحْوَى من كلامه ﷺ كثيرا ."

[عمرو بن بحر الجاحظ" (ت: 255هـ) من كتاب : البيان والتبيين]

"إذا نظرت فيها صح نقله من كلام النبي ﷺ على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية، رأيته في الأولى مُسدَّدَ اللفظ مُحكم الوضع جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات: فخم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضريبه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه؛ ولا كلمة غيُرها أتم منها أداة للمعنى وتأتياً لسره في الاستعمال ورأيته في الثانية حسن المعرض، بين الجملة، واضحَ التفضيل، ظاهرَ الحدود جيدَ الرصف. متمكن المعنى؛ واسع الحيلة في تصريفه، بديعَ الإشارة غريب اللمحة، ناصع البيان."

[مصطفى صادق الرافعي (ت: 1356هـ) من كتاب : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية]

"إن اتساع الفكرة في هذا الزمن ثم بساطتها ثم خفاء موضع الفلسفة العالية فيها، ثم تغلغل النظرة الفلسفية إلى أعماق الحقيقة الحية في الكون هو رأس ما يمتاز به كبار الأفذاذ والبلغاء .... وليس في العربية من هذا النوع إلا معجزتان: إحداهما القرآن، والأخرى ما صحَّ من حديث الرسول ﷺ ففيهما وحدهما تبلغ الفكرة في نفسها، ثم بتعبيرها وألفاظها، ثمَّ بشمول معانيها لجميع الحقائق الواشجة بها ثم بسريانها من ألفاظها وكلماتها مسرى الرُّوح العطر في جوّ السَّحَر، ثم فوق ذلك كله البساطة واللين والتقارب والتعاطف بين هذه المعاني كلها تقول يبلغ هذا كله مبلغا ؛ يكون منه ما هو كنسيم الجنة في طيبه ونعمته، ويكون منه ما هو كحَّز المواسى في علائق القلوب ويكون منه ما هو كالنار تستعر وتتلذع، ويكون منه ما ينتظم البنيان الإنساني البليغ المتفهم فيهزُّهَ هزَّ الزلزلة أعصاب الأرض وبهذا كان القرآن معجزا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبمثله كان حديث الرسول ﷺ هو ذروة البلاغة البشرية التي تتقطع دونها أعناق الرجال ."

[أبو فهر محمود محمد شاكر (ت: 1413هـ)، من كتاب: جمهرة مقالات محمود شاكر]

إهـــداء

الحمد لله حمدا كثيرا الذي بثّ فينا الإصرار والعزيمة لإنهاء هذا العمل العلمي، إلى مصدري الأمان اللّذان أستمد منهما قوّتي ونور عيني وحظي الجيد والديّ حفظكما الله وإلى إخوتي وزميلاتي التي لم تلدهنّ أمي وأثبتن أن الأخوة ليست فقط في الأرحام (عبلة، فريال، رزيقة، صبرينة، شيماء، سارة).

أهذي هؤلاء هذه الثمرة العلمة المتواضعة راجية من الله عزّ وجلّ القبول والرضوان

هـــاجر علاقـــة

نحمد الله عز وجلّ الذي وفقنا في إتمام هذا البحث العلمي والذي ألهمنا الصّحة والعافية والعزيمة فالحمد لله حمدا كثيرا مباركا.

إلى من علّمني النّجاح و الصّبر، إلى من افتقدته في مواجهة الصّعاب ولم تمهلني الدّنيا لأرتوي من حنانه أبي العزيز-رحمه الله.

إلى منبع الحنان ومورد الحب الصّادق إلى من صقلت ذاتي بأخلاقها الكريمة وإلى من علّمتني الصّمود مهما تبدّلت الظروف – أمي الحبيبة الغالية حفضك الله لي.

إلى إخوتي واخواتي جميعا وإلى كلّ من علّمني حرفا من هذا العلم أهدي ثمرة جهدي هذا ونسأل الله أن يجعله نورا لكلّ طالب – آمين يا رب العالمين-

دريـــدي عبلة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين، الذي أنزل عليه الكتاب المنير، معجزة خالدة إلى يوم البعث المبين وبعد:

تعدّ اللّغة العربية عزة العرب وشرفهم، فهي جزء لا يتجزأ من الحضارة العربية الإسلامية، وما زادها شأنا في جلّ العصور أنها لغة أهم وأعظم الكتب السّماوية ألا وهو القرآن الكريم في المرتبة الأولى لقوله تعالى: "**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونْ**" (**يوسف :02**) ولغة الحديث النبوي الشريف في المرتبة الثانية، الذي يعدّ أبلغ الكلام وأرقاه بعد كلام الله عز وجلّ، فقد جمعت أحاديثه ﷺ جميع صنوف البلاغة وألوان الجمال والفصاحة فكانت الصورة المفسّرة لمبادئ الدّين الإسلامي وأصول الإيمان بأدق العبارات وأجملها لأنه استمد ذلك من وحي الله تعالى له لقوله:" **أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ** " (**النساء:113**).

فهذا الجمال الفني في بلاغته ﷺ راجع إلى سموه الروحي وإرتباطه بالله عزّ وجلّ وبما أن البلاغة لا تقل أهمية عن العلوم الأخرى وذلك لكونها محطة إلتقاء العديد من العلوم الأخرى من نحو وصرف وغيرهم فقد أكسبت الحديث النبوي الشريف أعلى المراتب في حيز كانت تستحوذ عليه السليقة والفصاحة، فكان أبلغهم وأفصحهم لأن كلامه كلّ ما زاد فكرا زاد معنى، وكلّما تأملت في كلامه تتضح لك دلالات أخرى عميقة، وهذا من بين أقوى الأسباب التي جعلت العلماء والمفسرين يتجهون نحو دراسته وتفسريه (الحديث النبوي الشريف)، فاعتبروا الجملة منهلا لهم لكونها أساس فهم كلّ كلام من أجل الوصول إلى مبتغاهم.

وبناء على كلّ ما سبق وللأهمية التي يحتويها هذا الموضوع كان عنوان مذكرتنا "**بلاغة الجملة في التّعبير النبوي عند الرّافعي**" ومن أهم التساؤلات التي طرحناها حول الموضوع :

-ما موائز البلاغة النبوية؟

-ما المقاصد البلاغية لعربية النبي ﷺ؟

-هل استطاع الرّافعي أن يبرز تجليات بلاغة الجملة في التّعبير النبوي؟

-هل استطاع الشّريف الرّضي استشفاف عبقرية النبي ﷺ؟

ومن بين أهم الأسباب والدوافع التي جعلتنا نلتفت ونهتم بدراسة هذا الموضوع الميولات الشخصية والرّغبة الجامحة في دراسة الظواهر البلاغية واللغوية في الحديث النّبوي الشريف، الذي أبهر العقول وسحر القلوب بإبداعه في التعبير ، وهذا من جهة و من جهة أخرى فقد سعى البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية وهي:

-إبراز بلاغة التّراكيب النبوية.

-إبراز الأساليب النبوية.

-إبراز السّمو الرّوحي لمقاصد البلاغة النبوية.

-إبراز القيمة العلمية للمدونتين" إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المجازات النبوية".

وقد اعتمدنا في إنجاز بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يسعى إلى دراسة الظاهرة وتفسيرها من خلال تعزيزها بالشواهد والدلائل، فالمنهج الوصفي عالجنا من خلاله الظواهر المتعلقة بالموضوع، كما هي في الواقع ووصفها وصفا دقيقا، وآليته التحليل فيما حواه محتوى الكتاب" **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرّافعي**" .

-أمّا محاور الموضوع فلقد عالجناها في مدخل وفصلين تسبقهما مقدمة وتلحقهما خاتمة.

-أمّا المدخل عالجنا فيه مجموعة من المصطلحات والمفاهيم كالبلاغة والجملة.

-أمّا الفصل الأول عالجنا فيه بناء الجملة بين قواعد النحو ومقاصد البلاغة من بينها المقصود بنحو الجملة ومفهوم بلاغة الجملة.

أما الفصل الثاني عالجنا فيه الإشراق البلاغي في عربية النبي ﷺ وكذلك إبراز التّرقي اللغوي في عربية النبي من خلال المدونتين ثم خاتمة أبرزنا فيها أهم نتائج البحث المتوصل إليها .

أمّا الدّراسات الأكاديمة السابقة للموضوع فمن بينها : رسالة درجة الماجستر الموسومة بـ: **البلاغة النبوية في الأربعين النوويّة** من إعداد الطّالب " خالد عبد العزيز الزّويع" رسالة أخرى موسومة بـ: **بلاغة التّراكيب في كتاب الإمام من صحيح مسلم** من إعداد الطّالب " نوير عبد مرزوق الفريدي" بالإضافة إلى

أطروحة أخرى لنيل شهادة الماستر تحت عنوان **بلاغة الإيجاز وجمالياته في الحديث النّبوي الشّريف** من إعداد الطّالبتين : "سعيدة مانع" و "مسعودة مسبوط".

أما المراجع العمّد في بحثنا فمن أهمها :

–فاضل صالح السمرائي ، **الجملة العربية تأليفها وأقسامها** .

–عبد العزيز قليقلة، **البلاغة الإصطلاحية** .

–مصطفى صادق الرّافعي ، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.**

أمّا موضوعنا فقد إختاره الأستاذ المشرف الدكتور " **الخثير داودي**" وذلك لإستحقاقه وجدليته وأصالته وهدفيته في تنوير البحث اللغوي ، وخاصة أنه موضوع حيوي في لب الدّين الإسلامي .

وأخيرا نحمد الله العلي القدير الذي وفقنا لإتمام هذا البحث، كما لا يفوتنا أن نتقدم بأرقى وأسمى عبارات الشّكر والعرفان للأستاذ المشرف " **الخثير داودي**" الذي لم يبخل علينا بأي معلومة حول موضوع هذا البحث، وتأطيره المنهجي العلمي الصّحيح وتقويمه المعرفي القويم، فله جزيل الشكر وخالص الدّعوات ودمت رمزا من رموز المعرفة والعلم .

والله ولي التوفيق.

❖ عبلة دريدي

❖ هاجر علاقة

❖ المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف – ميلة–

تاريخ الإنتهاء: / /2024.

مدخل مفاهيم ومصطلحات

-البلاغة Rhétorique

-الجملة Phrase

-الكلام Parole

-القول Dire

-هل هناك فرق بين ؛ الكلام Parole والقول Dire ؟

1-البلاغة Rhétorique:

تعد البلاغة من الفنون الأدبية اللغوية القديمة عند العرب، إذ تهتم بدراسة الوسائل التي تعين على تحليل وفهم مختلف النصوص الأدبية سواء كانت شعرية أم نثرية، وقد ورد للبلاغة العديد من التّعاريف من بينها :" هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب ، مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه ، والأشخاص الذين يُخاطَبون " [1]

بمعنى أن البلاغة عند أهل العربية هي قدرة الشّخص على إيصال المعنى إلى السّامع أو القارئ في صورة مقنعة وواضحة، تترك في نفسه أثرا مع ملائمة المقام الذي يقال فيه والطّرف الموجه إليه ، وفي هذا الصدد يقول **الخطيب القزويني (ت:739 هـ)** "هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[2]

البلاغة هي" كل ما تبلّغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[3]

فالبلاغة عند "**أبو هلال العسكري(ت: 395هـ)**" لا تسمى بلاغة إلا إذا تمكنت من إبلا غ المعنى وتغلغله في قلب المخاطب في صورة مفهومة وجذابة .

من خلال التعاريف السابقة نستنتج أن البلاغة مرتبطة بشقين أساسيين هما الكلام (اللفظ) والمتكلم فالمراد بالكلام هو التعبير عن الفكر والمشاعر بألفاظ بليغة، أمَّا المتكلم هو القدرة على إنتاج ذلك الكلام بطريقة صحيحة واضحة تبغ قلب السامع.

وفي الأخير يمكننا القول أن البلاغة تنصب جلّ اهتماماتها في وصول الشيء(المعنى) إلى غايته ونهايته.

---

[1]- علي الجارم ، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع، دار المعارف ،1999، ص 8.

[2]-الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان و البديع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص 20.

[3]-أبي هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية 1952،ص10.

وفي هذا الإطار لا يمكننا إغفال النظر عن المصطلح الآخر الذي لا طالما لازم البلاغة وكان بمثابة الشقيق لها ألا وهو الفصاحة، إذ يجدر بنا الإشارة إلى أنه كان هناك من العلماء الذين لم يفرقوا أو يفصلوا بين هاذين المصطلحين، واعتبروا أنهم شيئا واحدا مثل **عبد القاهر الجرجاني(ت:471هـ)** لكن الرأي السائد والمسلّم به أنه لكل واحدة منهما صفاتها ومرتكزاتها الخاصة، فإذا نظرنا إلى مراحل بداية كل من الفصاحة والبلاغة نجد أن لكل واحدة منطلقات ومناهل مختلفة.

الفصاحة كلمة استعملت لتدل على الظهور والإبانة والسلامة من كل ما يشوب الشيء يقول **ابن سنان الخفاجي(ت:466هـ)**:" الفصاحة هي الظّهور والبيان[1] " ،وبعد مرور الزمن تطورت وأصبحت تدل على الكلام الظّاهر في معناه لقوله تعالى :" **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِى إِنِّى أَخَافُ أَن يُكَذِّبُون" (القصص :34)**.

أما البلاغة مصطلح وضع ليدل على الوصول إلى المكان والنهاية، ومع مرور الزّمن أصبح هذا اللّفظ يشمل أمورا معنوية ينتهي بها صاحبها إلى ما يريد؛ بمعنى أنها أصبحت صفة للقول الذي ينبغي أن يكون الهدف منه التّأثير في النّفوس لذلك من الطّبيعي والمنطقي أن يكون هناك فرق واضح معترف به بينهما .

وعليه فقد وضّح **ابن سنان الخفاجي(ت:466هـ)** الفرق بينهما في قوله:" الفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني"[2]

ومن خلال هذا القول يتضح لنا الفرق بينهما وهو كالآتي :

- غاية البلاغة إبلاغ المعنى في صورة تأثر في نفس السّامع، أمّا الفصاحة غايتها إنتاج كلام واضح لا يتلعثم به اللّسان ولا ينفر منه السّامع.

-ترتبط البلاغة بالقول والمتكلم والمخاطب وهذا ما وضحه **الراغب الأصفهاني(ت:502هـ)** في قوله :"البلاغة تقال على وجهين :

[1]-ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، 1402هـ -1982م، ص 58.

[2]- نفس المرجع، ص 59.

إحداهما أن يكون بليغا بذاته ...

-والثاني أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقوّل له..."[1]، أما الفصاحة ترتبط بالكلام فقط.

- تسعى البلاغة إلى إيصال المعنى إلى قلب السّامع قبل عقله، أمّا الفصاحة تهتم بمواطن تركيب الكلام من أجل الإبتعاد عن العلل التي قد تصيبه .

في الأخير يمكننا القول أن البلاغة أشمل وأعم من الفصاحة فكل كلام بليغ فصيح وليس العكس.

2-الجملة Phrase:

لم يفرق الباحثون القدامى في دراستهم بين مصطلح الجملة والكلام، واعتبروا أنهم شيئا واحدا ويتضح ذلك في قول **الزّمخشري(ت:538 هـ)**:" الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ذلك لا يأتي إلا في إسمين كقولك زيد أخوك ، بِشْرٌ صَاحبُكَ أو في فعل واسم نحو قولك ضرب زيد وانطلق بكر وتسمى الجملة "[2] حتى استقر مفهوم الجملة عند العلماء المحدثين حينما فصلوا بين المصطلحين على يد **ابن هشام الأنصاري(ت:761هـ)**، وقد عرّف الجملة على أنها " عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد ومبتدأ وخبر زيد قائم وما كان بمنزلة إحداهما نحو ضرب اللّص وأقائم الزيدان وكان زيد قائم.... وبهذا يظهر أنهما ليس بمترادفين كما يتوهم كثير من النّاس "[3]

وإذا تعمقنا في مفهوم الجملة نجد أنها ما تضمن الإسناد الأصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها، أولا كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذكر من الجمل ، فيخرج المصدر، واسما الفاعل والمفعول ، والصفة المشبهة ، والظرف مع ما أسندت إليه[4].

---

[1]- عباس حسن، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتّوزيع، عمان-الأردن، ص57.

[2]- جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم العربية، مطبعة التقدم، بمصر، 1323هـ، ص6.

[3]-جمال الدّين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ج2، دار الفكر بدمشق ص419.

[4]- محمد بن حسن الرضي، شرح الكافية، هجر للطباعة والنشر والتّوزيع، 1993، ص18.

واستنادا إلى كل ما سبق نستخلص أن الجملة عبارة عن مجموعة من العناصر التركيبية التي لا يشترط فيها أن تكون مقصودة لذاتها أو العكس، في حين يتوجب اشتمالها على مسند ومسند إليه، أو هي لفظ مركب سواء كان مفيد أو لا فإذا كان مفيد سمي جملة مفيدة أو كلام، وإن لم يكن مفيد سمي جملة كذلك فالجملة لا تشترط فيها الإفادة.

وقد عرّفها النحاة الفرنسيين في قولهم : " هي وحدة التبليغ اللسانية communication linguistique هي التتابع الصوتي الأصغر الذي بواسطته يوجه المتكلم خطابا إلى المستمع".[1]

3-الكلام Parole :

الكلام هو " ما يتضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته"[2]

أي أن الكلام يكون مقيدا بإسناد أصلي و مقصود لصاحبه كقوله تعالى :« **والله خَلَقَ كُلَّ دَابَة منْ مَاء**» (**النور** : **45**).

ففي الآية الكريمة إسناد أصلي مقصود لذاته وهو ذلك الذي يبين لفظ الجلالة المبتدأ والخبر وهو جملة (خلق كلّ دابة من ماء) .

والكلام هو " القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه "[3] وهذا ما أقرّه ابن مالك في ألفيته يقول :

"كَلاَمُنَا لَفْظٌ مُفيدٌ كَاسْتَقَمْ اسْمٌ وفعْلٌ ثُمَّ حَرْفُ الكَلم"[4]

[1] -Maurice Grecisse. Le bon usage. Grammaire francaise .paris duculot. 12ed.refondus. par andre groose 1988. Page293.

[2] – محمد بن حسن الرضي، شرح الكافية، ص18.

[3] – جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص419.

[4] – ابن مالك، ألفية، تح: سليمان بن عبد العزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ص69.

يمكننا القول أن الكلام عند العلماء المحدثين عبارة عن لفظ مركب من كلمة، أو أكثر يرتكز على تأدية معنى مفيد وإسناد أصلي مقصود لصاحبه فكل كلام جملة وليس العكس .

أما بالنسبة للعلماء اللسانيين أمثال **مشال زكرياء** فقد عرفوا الكلام على أنه " الكلام هو الممارسة الفردية الذاتية لهذه اللغة في ظروف مادية أي هو طريقة تجسيد المتكلمين لهذا النظام اللغوي "[1].

والمقصود من هذا المفهوم أنّ **ميشال زكرياء** حصر الكلام في الجانب الفردي للمتكلم بحيث يبقى الكلام عملية فردية إنتاجية خاصة بالفرد.

4-القول Dire:

فقد عرّفه **ابن جني(ت:392)** في قوله هو " كل لفظ مذّل به اللسان تاما كان أو ناقصا"[2] .

ثم فسره بقوله :"التام هو المفيد أعني الجملة وما كان في معناها نحو: ايه ،صه، والناقص ما كان بضد ذلك نحو: زيد ، محمد وإن كان اخوك إذا كانت الزمانية لا الحدثية فكل كلام قول وليس كل قول كلام "[3] .

فالقول هو" ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فصوت، وإن اشتمل على حرف فلم يفد معنى فلفظ وإن أفاد فقول "[4]؛ وإذا دققنا في مفهوم القول نجد أنه "اللفظ الدّال على معنى وهو يعمّ الكلام والكلم والكلمة فكل ذلك قول"[5] وتأسيسا على ما سبق ذكره يمكننا أن نعرف القول على أنه لفظ ينطق به اللسان يتضمن فعلا إنجازيا سواء كان مفيدا أو لا.

5-هل هناك فرق بين الكلامParole والقولDire؟

إذا أردنا أن نلتمس الفرق بين القول و الكلام، يمكننا أن نسلك منحنى **ابن جني(ت:392هـ)** إذ يقول في هذا المقام :" ومن أدلّ الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماع الناس على أن يقولوا : القرآن الكريم كلام الله ولا يقال القرآن الكريم قول الله وذلك أن هذا الموضع متحجر لا يمكن تحريفه ولا يصاغ

[1]- ينظر ميشال زكرياء، الألسنية علم اللغة الحديث، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1985، ص 228.

[2]- ابن جني، الخصائص ، تح محمد علي النجار، عالم الكتب المصرية ،ج1، 1371هـ-1952م، ص17.

[3]- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر ، تح: عبد العالي سالم مكرم،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص3-5.

[4]- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، ط2، 1427هـ-2007م، ص10.

[5]-نفس المرجع، ص10.

تبديل شيء من حروفه فعبّر لذلك عنه بالكلام الذي لا يكون إلا أصوات تامة مفيدة وعدل به عن القول الذي يكون أصواتا غير مفيدة "[1].

من خلال قول **ابن جني(ت:392هـ)** وما سبق ذكره من تعاريف للقول والكلام، نجد أن الفرق بينهما يتضح في جانب الإفادة حيث أن الكلام يكون بالضرورة مفيدا تاما أما القول لا فكل كلام قول وليس العكس تماما.

يقول **سبويه** (ت:180هـ):" واعلم إن قلت في كلام العرب إنّما وقعت علي أن يحكي بها وإنما يحكي بعد القول ما كان كلاما لا قولا"[2].

ومن هنا يتضح لنا الفرق الثاني، وهو أن الكلام كل ما ينشأ داخل النفس أو ذات المتكلم بينما القول هو الوسيلة التي يتم من خلالها التعبير عن الكلام، سواء كان بالنطق أو الإشارة أو الكتابة.

أمّا الفرق الثالث يتضح في أن " العمل القولي هو العمل الذي يتحقق ما إن تتلفظ بشيء ما وهو العمل المتضمن في القول"[3]؛ بمعنى أن القول يتضمن فعلا إنجازيا نحو قولك نظف أسنانك بينما الكلام لا يقتضي كل ذلك لأنه شق نظري مفيد فقط.

[1]- ابن جني، الخصائص، ص8.

[2]-نفس المرجع ،ص80.

[3]- آن روبول جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: د سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني ، مر: لطيف زيتوني ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان،2003 ،ص31.

الفصل الأول :بناء الجملة بين قواعد النّحو ومقاصد البلاغة.

أ/الجملة من منظور نحوي

1-الجملة المفهوم والأقسام

2-عناصر تأليف الجملة

3-علاقات الربط في تركيب الجملة العربية

4-المقصود بنحو الجملة

5-صفات وموائز نحو الجملة ودور علوم البلاغة الثلاث(المعاني والبيان والبديع)

ب/ الجملة من منظور بلاغي

1-هل البلاغة والنّحو علم أم علمان ؟

2-العلاقة بين النظم والنّحو.

3-مفهوم بلاغة الجملة.

4-بلاغة الجملة من منظور الكناية.

5-الفرق بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم.

أ.**الجملة من منظور نحوي:**

1-الجملة المفهوم والأقسام:

1.1. مفهوم الجملة:

تعد الجملة من أهم المكونات الأساسية، للغة فمن خلالها يعبر الإنسان عن أغراضه وحاجاته وأفكاره ويتفاهم مع بني جنسه، لهذا أصبحت محط اهتمام للكثير من الباحثين سواء كانوا عربا أو غربا وبسبب الرؤية والنظريات المختلفة منحت الجملة تعاريف اصطلاحية عديدة ومتنوعة من بينها :

– هي" مركب لغوي دال مكون في اللسان العربي من عنصرين رئيسيين اثنين هما : المسند والمسند إليه اللذان يظهران في نماذج الكلام المشخص بصورة متعددة ومتنوعة بالغة الغنى تتضمنها بُنَى تركيبية أساسية كل منها يشبه النواة"[1] يقول دي سوسير :"الجملة عبارة عن منظومة من العلاقات التي تعبر عن فكرة ما"[2]؛ وإذاّ أمعنا النظر نجد أن " الجملة هي الأساس التي تقوم عليه الدراسة النحوية فهي وسيلة يعبر بها المتكلم عما في نفسه"[3] .

من خلال التعاريف التي سبق ذكرها يتضح لنا أن الجملة ترتكز على ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه اللذان يشكلان علاقات تركيبية مرتبطة من أجل التعبير عن أفكار المتكلم التي تدور في ذهنه.

2.1. أقسام الجملة :

تتفرع الجملة بحسب اعتبارات عدة، فمن حيث مبناها تنقسم إلى إسمية وفعلية عند الجمهور، كما أضاف **ابن هشام الأنصاري(ت:761هـ)** قسما ثالثا وهو الجملة الظرفية، وزاد كذلك الزمخشري(ت:538هـ) وغيره قسما رابعا وهو الجملة الشرطية فأصبح لدينا أربعة أقسام للجملة (إسمية، فعلية، ظرفية، شرطية).

---

[1] – أحمد حاطوم، اللغة ليست عقلا من خلال اللسان العربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ص126-127.

[2] – فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي، المؤسسة الجزائرية، دط، دت، ص27.

[3] –فاتح مرزوق، التقديم والتأخير في الجملة العربية ، نشر نور،2019، ص9.

1.2.1 الجملة الإسمية :

هي الجملة التي تبدأ باسم، ولها ركنان أساسيان لا بد لأي جملة إسمية أن تحتوي عليهما ألا وهما المبتدأ والخبر نحو: الجو جميل فالجو مبتدأ، جميل خبر.

وعليه فالجملة الإسمية هي " الجملة التي تعطي مفهوم تام مقصود للمتحدث يريد أن يوصله إلى المستمع مخبرا أو مستخبرا ، صدرها يكون محور الكلام وعلينا أن نفترض فيه المعلومية لدى طرفي الحديث حيث يبتدئ بما هو معلوم لدى الطرفين ليبني عليه ما هو مجهول يراد الإخبار به أو الإستخبار عنه "[1]نحو قولك المؤمن صادق .

يتضح مما سبق أنه لا وجود لجملة إسمية دون احتواءها على مبتدأ أو خبر .

2.2.1.الجملة الفعلية :

هي الجملة التي تستهل بفعل، سواء كان ماض أو مضارع أو أمر، أو كان جامد أو متصرفا، سواء كان مبنيا للفاعل أو للمفعول، سواء كان ناقصا أو تاما وعادة ما تتكون الجملة الفعلية من فعل وفاعل ومفعول به نحو أكل الطفل التفاحة .

الفعل: هو" ما دلّ على حدث، واقترن بزمن وقد يكون ماض نحو: ذهب أو مضارع نحو: يذهب أو أمر نحو: إذهب [2].

الفاعل: هو إسم مرفوع الذي يقوم بالفعل عادة ما يكون إسما ظاهرا أو ضمير سواء كان متصل أو منفصل مستتر.

المفعول به: هو" ما يقع عليه فعل الفاعل نحو: كتب الطالب المحاضرة"[3].

---

[1]- فاتح مرزوق، التقديم والتأخير في الجملة العربية ،ص19.

[2]-عبد اللطيف سعد عبد العزيز مصلوح، نحو العربية، ط1، مكتبة دار العروبة، ج3، 1422هـ-2001م، ص14.

[3]- محمود سليمان ياقوت، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، ط1،مكتبة المنار الاسلامية، الكويت،1417هـ-1996م ص625.

3.2.1.الجملة الظرفية:

هي " المصدرة بظرف أو مجرور نحو (أعندك زيد) و (في الدار زيد) إذا قدرت زيد فاعلا بالظرف والجار والمجرور لا بالإستقرار المحذوف ، ولا مبتدأ مخبرا عنه بهما"[1]

فالجملة الظرفية تسعى إلى التعبير عن هيئة زمانية، أو مكانية بحيث تستعمل من أجل إعطاء معلومات إضافية عن الفعل في الجملة الأساسية، وتحتوي على فعل وفاعل ومختلف العناصر الأخرى الضرورية للتكوين جملة شاملة المعنى.

4.2.1.الجملة الشرطية:

"وزاد **الزمخشري(ت:538هـ)** وغيره الجملة الشرطية، فتكون الجمل عندهم فعلية وإسمية وظرفية" وشرطية ذلك نحو (بكر إن تعطيه يشكرك) وهي عند الجمهور فعلية وهو الراجح فيما أرى ذلك لأن الجمل الشرطية تكون إما مصدرة بحرف شرط أو بإسم شرط وإسم الشرط قد يكون فضلة" [2].

والمقصود بذلك أن الجملة الشرطية هي الجملة التي تكون في بادئ أمرها متصدرة بحرف شرط نحو: "من زرع حصد"، "إن صدقت نجوت" وقد يكون في الجملة أساس أو فضلة.

نستنتج من خلال ما سبق تقديمه، أن الجملة تعد ركن أساسي في الدرس اللغوي فمن خلال تركيبها تنبثق مختلف القواعد اللغوية التي تؤسس لنشأة أي لغة من اللغات .

أما بالنسبة لتحديد أقسام الجملة من حيث مبناها فقد اختلف العلماء في ذلك بحيث قسمت إلى إسمية وفعلية عند أغلبهم، وأضاف **ابن هشام الأنصاري(ت:761هـ)** الجملة الظرفية و**الزمخشري(ت:538هـ)** الشرطية، و الوصفية عند **تمام حسان** .

3- عناصر تأليف الجملة:

تتألف الجملة العربية من عناصر أساسية تساهم في تركيبها تركيبا صحيحا من بين أهمها:

[1]- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص159.

[2]- نفس المرجع، ص160.

1.2. المفردة:" نعني بها الكلمة على وجه العموم، فإن كل جملة تتألف من مفردات مثل رجل، نور، سوف"[1].

والمقصود بذلك أن المفردة تحمل معنى الكلمة بصفة عامة، فهي تقوم بإعطاء المعنى دفعة واحدة في تركيب الجملة نحو قولك: يصلي، يلعب.

2.2 البنية أو الصيغة الصرفية: هي كيفية صياغة بنية الجملة، بحيث تكون متناسبة مع المعنى العام فتقوم بإيصال المعنى المراد في صورة تركيبية سليمة يقول **السامرائي** في هذا المعنى :" لكل صيغة معنى يختلف عن الصيغ الأخرى كالفعل والإسم والفاعل والصفة المشبهة وصيغ المبالغة وإلى غير ذلك "[2]

3.2. التأليف : فهو نوعان:

- **التأليف الجزئي** :" مثل ما قام عنه بمعنى انصرف عنه وقام له أي عظمه وقام إليه أي قام ذاهبا إليه وقام عليه بمعنى تولى أمره"[3]
- **التأليف التام:** ويكون هذا النوع على مستوى التركيب النحوي للجملة، نحو تقديم المسند إليه على المسند، والتنكير والتّعريف وما إلى ذلك.

4.2. النغمة الصوتية : تختلف النغمات الصوتية للجملة، فلكل جملة نغمة خاصة بها ترتبط بالمعنى المراد إيصاله، فنغمة الاستفهام ليست نفسها نغمة التعجب، والتقليل والتحقير كذلك نحو: ما أجمل غروب الشّمس ! كيف حالك؟.

5.2. القرينة: " والقرينة عنصر مهم من عناصر الجملة، فيها يعرف المحذوف لقرينة لفظية أو مقامية وجها يعرف عود الضمير، وأن يجر له ذكر وبها يعرف خروج الكلام عن ظاهره إلى دلالة أخرى"[4] فمن خلالها يمكن معرفة مقاصد الكلام الحقيقية.

---

[1]- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، ص31.

[2]- نفس المرجع، ص31.

[3]- نفس المرجع، ص31.

[4]-نفس المرجع، ص32.

6.2. الفهم العام لمدلول العبارة: هو الشكل الكامل والعام للجملة، ومحل سياقها لأن الجملة لا تفهم من خلال بعض المفردات الفردية، لذلك يتوجب النظر إليها كتكوين شامل من أجل فهم قصد المتكلم الحقيقي ويوضح **السامرائي** ذلك في قوله : "فالعبارة قد لا تفهم من مفرداتها ولا يعرف المقصود منها وإنما هناك مفهوم عام للمتكلمين بها ينبغي التعويل عليها لفهم أمثال هذه العبارة"[1]

7.2. الإعراب: أثر يحدثه العامل في آخر الكلمة، فيكون آخرها مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا أو مجزوما حسب ما يقتضيه العامل"[2]

إن الجملة العربية لا تبنى في الأساس إلا إذا توفرت على مجموعة من العناصر الضرورية المتمثلة في: المفردة، البنية، التأليف، الاعراب، الفهم العام، النغمة الصوتية، القرينة، والتي تجعلها قادرة على إيصال المعنى إلى ذهن السامع أو القارئ وقابلة للتحليل اللغوي .

4-علاقات الربط في تركيب الجملة العربية :

عندما أخذ النحاة الإعراب طريقا لهم أبعدهم هذا عن دراسة بناء الجملة دراسة تركيبية، تقوم على الإرتباط والربط بين المعاني الجزئية، لهذا أشاروا إلى الربط إشارات طفيفة في مواقع متفرقة، حيث أن دراستهم لها لم تكن شاملة لأن الربط لم يكن أساسا منهجهم، فقد خلطوا بين مفهوم الربط والإرتباط وحصر **ابن هشام** هذه الروابط في أحد عشر موضعا.

فلم يوفق **ابن هشام الأنصاري(ت:761هـ)** في حصر هذه الروابط حصرا تاما، وذلك لأن مفهوم الربط لم يكن محددا لدى النحاة حتى يحصروا مواضعه، أمّا **ابن سراج(ت: 316هـ)** قد لحظ أن من مواضع الربط استخدام أدوات العطف والجر والشرط وهذا ما أقرّه النحاة فيما بعد **أمثال الأندلسي(ت:661هـ)** في شرح المفصل، كما استخدم بعض النحاة مصطلح آخر يدل على الربط وهو **الوصلة** ؛ بمعنى الإتصال ناهيك عن الأهمية التي يحتلها في تركيب الجملة العربية، ذلك لأنها العقد الذي يجمع بين حباته سلك وثيق فلا بد أن يبقى ذلك السلك متصلا إلا ما استطاع الرائي أن يفهم من شكله

[1] - فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، ص32.

[2] - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ط28، المكتبة العصرية صيدا، ،بيروت،ج1، 1414هـ-1993م، ص18.

معنى العقد، وهذا هو الإرتباط فلو انقطع السلك وأردنا جمعه لكي يفهم معناه عالجناه بطريقة الربط، حتى يعود منظما أشبه بما كان عليه إلاّ أن مكان الربط يبقى بارزا للرائي معينا بعلامة تدل عليه، وهذا لا يعد لا إرتباطا ولا انفصالا، وإنما هو في المرتبة الوسطى الربط"[1] وتتفرع مواضع هذا الأخير من الجانب المعنوي إلى قسمين : (بالضمير والأدوات) .

1.3. الربط بين الضمير وما يجري مجراه: هو الضمير الظاهر وليس المستتر ومن مواضعه :

-الخبر الجملة

-النعت الجملة

-جملة الصلة

-ضمير الفصل

-الحال جملة

-الاشتغال

-التأكيد المعنوي

-الربط باسم الاشارة

- ا ل النائبة عن الضمير

2.3 الربط بالأدوات : وتتمثل في :

-أدوات العطف

-واو الحال

-واو المفعول معه

-أدوات النصب المضارع

-أدوات الشرط

-الفاء في جواب الشرط

-أدوات الاستثناء

[1]-ينظر: د مصطفى حميدة، نظام الإرتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ط1،الشركة المصرية العامية، لبنان،1997، ص195.

-حروف الجر

-الحروف المصدرية

5-مفهوم نحو الجملة :

نظرا للمكانة التي تحتلها الجملة في اللغة العربية عامة والدرس النحوي خاصة، وباعتبارها الوحدة الأساسية القابلة للتحليل اللغوي، فقد حظت باهتمام العديد من الدّارسين النحويين حيث وردت لها تعاريف إصطلاحية كثيرة عند النحويين من بينها:

هي " سلسلة من المفردات النحوية المختارة تظم في وحدة أو وحدة مجردة تؤسس لكي تقدم بيانا على الإجراءات التوزيعية لمكوناتها"[1] وإذا دققنا في هذا المفهوم جيدا نجد أن نحو الجملة هو مجموعة من الحلقات التركيبية كالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر المنظمة لتكوين وحدة قابلة لتقديم معلومات مفصلة واضحة لعناصرها.

وقد عرفها **مصطفى حميدة** في قوله:" وحدة تركيبية تؤدي معنى دلاليا واحدا واستقلالها فكرة نسبية تحكمها علاقات الإرتباط والربط والإنفصال في السياق"[2].

إذن من خلال هاذين التعريفين نجد، أنّ نحو الجملة مجموعة من العناصر المركبة تركيبا محكما تؤدي معنى نحويا ودلاليا واضحا، بحيث يكون السياق المتحكم الوحيد في ذلك التركيب، من خلال مختلف علاقات الربط الموجودة، ومن هذا المنطلق يمكننا القول أن الجملة هي المكون الأساسي الذي يبنى عليه الدرس النحوي.

6-صفات وموائز نحو الجملة:

إن المتتبع للدراسات النحوية يجد أن العديد من المفردات تتداخل مع بعضها البعض، حتى تكاد تصبح مصطلحا واحدا، مثل نحو الجملة ونحو النص لكن اهتمام وتفطن العلماء أدى إلى منح كل مصطلح حقه.

[1]- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدّرس النحوي ،ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، مصر، 2001،ص 17-18.

[2]- مصطفى حميدة، نظام الإرتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص148.

والجذير بالذكر أن العلماء قد اختلفوا في إعطاء كل مصطلح مفهوم خاص به، يميزه عن غيره حسب نظرة كل واحد منهم، إلاّ أن هذا الإختلاف إنبثقت عنه صفات وسمات تميز نحو الجملة عن غيرها وهي :

1.5. الإطراد:" ومن ثم تكون القاعدة عندهم حكما على اللغة الفصيحة على الرغم من اعترافهم للشذوذ بالفصاحة.

2.5.المعيارية: ومعناها أن القاعدة معيار للصحة والخطأ، وهكذا جعلت المعيارية القاعدة السابقة على النص، فلا يرتضى النحو نصا إلا إذا وافق القواعد التي تسبق استنباطها .

3.5.الإطلاق: بمعنى أن القاعدة النحوية صادقة على ما قبل وما سيقال من بعد، فهي الحكم الذي يرد إليه الكلام.

4.5.الإقتصار: على بحث العلاقات في حدود الجملة الواحدة فلا يتخطاها البحث إلا عند الإضراب أو الإستدراك ونحوهما ومن هنا صح لهذا النحو أن يسمى نحو الجملة" [1]

وللعلم يرى **تمام حسان** أن كلا من علوم البلاغة الثلاث (البيان، البديع ،المعاني) دورا مهما في نحو الجملة وهو كالآتي:

أ. **علم المعاني** : وهو " في الدرس البلاغي دراسة لمعان وظيفية في صميمها، تبدو أكثر صلة بالنحو منها بالنقد الذي أريد بها خطأ أن تكونه "[2] بمعنى أن علم المعاني وعلم النحو اتخذوا طريقا واحدا لهما وهذا ما جعل الدّرس البلاغي يكمل الدّرس النّحوي أو العكس.

ب. **علم البيان:** " إرتبط في مذهب شيخنا بعلم المعجم إذ هو عنده أوثق صلة بالمعجم منه بالقواعد من حيث أن"

" مجال الدراسة في كل من علمي المعاني والمعجم هو العلاقة بين الكلمة ومدلولها واتجاه الدّرس في علم البيان دراسة دلالة اللفظ على معناه العرفي " المطابقي" أو الدلالة على بعض معناه" أو لازم معناه يجعل

[1] -ينظر، سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات و مثاقفات(المبحث السابع المذهب النّحوي عند تمام حسان) ط1، عالم الكتب القاهرة، 1425هـ-2004م، ص209-210.

[2] - تمام حسان، العربية معناها ومبناها، ط2، الهيئة المصرية العامة، 1979، ص18.

علم البيان قمة علم المعجم كما كان علم المعاني قمة علم النّحو"[1]وعليه فإن علم البيان يقوم بدراسة دلالة الكلمة المطابقة لها وعلم المعجم يبحث في العلاقة بين الكلمة ومفهومها، فهما إذن يلتقيان في نفس الهدف مما جعلهم يسلكان في نفس المنهل.

ج. **علم البديع**: يتضح أن هذا العلم آخر علوم البلاغة أخذ حظا وافرا من اهتمام **تمام حسان** إذ يقول " قليل من ظواهره ما يتصل بالمعنى كالجناس والتورية ونحوهما وأن الجناس التّام ليحمل بعض عناصر الشبه بالمشترك اللفظي، حيث يتخذ اللفظ ويختلف المعنى على أن جمهرة الظواهر البديعية ليست أكثر من محسنات لفظية وكذلك سماها الأولون فلا تدخل في دراسة المعنى العرفي دخولا مباشر؛ لأن معناها أي المقصود منها هو فني لا عرفي" [2]

وتأسيسا على كلّ ما سبق ذكره نستنتج أن:

– تتميز نحو الجملة عن نحو النّص بصفات خاصة لا يمكن إحداث لبس فيها وهي الإطراد، المعيارية، والإطلاق، والإقتصار.

– يعد علم المعاني من أشد علوم البلاغة، الذي يتعلق بالنظرية النحوية من خلال مضامينه واهتماماته الواسعة، فهو بذلك يؤسس ويوثق لعلاقة تجمع بين الدّرس البلاغي والدّرس النّحوي.

– أما علم البديع فقد أبعد تماما من مجال النحو، وذلك لأنه يعمل على تحسين وتزيين الكلام المراد ايصاله فلا يركز بذلك على جوهر المعنى .

أمّا علم البيان يرتبط ارتباطا وثيقا بعلم المعجم من خلال بعض النقاط المتوافقة بينهما.

–فعلوم البلاغة ثلاث إذن ماهي إلاّ أبرز الأسس والركائز العلمية لتفسير مختلف الظواهر اللّغوية والبلاغية فلكلّ واحد منها دور مهم يقوم به، ناهيك عن العلاقات التي تؤسسها هذه العلوم الثلاث مع علوم اللغة الأخرى، وخاصة النّحو الذي يلتقي مع علم المعاني وفي الجملة بالضبط، حتّى قيل عنه أنه جزء من علم النّحو فمن خلاله يمكن إظهار وإبراز خصائص البلاغة القرآنية عامة والنبوية خاصة.

[1]– تمام حسان، العربية معناها ومبناها، ط2، الهيئة المصرية العامة، 1979،ص 19.

[2]–نفس المرجع، ص20.

ب.الجملة من منظور بلاغي:

1-النحو والبلاغة علم أم علمان؟

تحتل الجملة حيزا كبيرا في ساحات الدّرس اللغوي، وذلك باعتبارها الوحدة الرئيسة القابلة للدراسة اللغوية، ناهيك عن ذلك فهي تعد محطة التقاء العديد من العلوم العربية كعلم النحو وعلم البلاغة، وهاذين الأخيرين يقومان بدراستها كل وفق مبادئه وأسسه وركائزه المعتمد عليها.

فعلم النّحو يعد من أرقى العلوم وأنفعها، فهو السلاح اللغوي ووسيلة المجتهد للولوج إلى علوم العربية فمن خلاله يتضح صحيح الكلام من فاسده، في زمن لم تعد العربية الفصيحة سليقة للمتكلمين ويعرف النحو على أنه :" علم بأصول تعرف بها أواخر الكلمات من حيث الإعراب والبناء وهو يبحث في الكلمات بعد تركيبها"[1]؛ بمعنى أن الكلمات تتغير أواخرها عندما تنظم في التركيب، أما إذا نظرنا إلى حصر جل اهتمامات النحو نجد أن النحاة العرب انقسموا إلى فريقين فمنهم من يرى أن به "يعرف أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناءً فيقصرون بحثهم على الحرف الأخير في الكلمة بل على خاصة من خواصه وهي الإعراب والبناء" [2].

وبناء على هذا الموقف نرى أن النحاة، أجمعوا على أن الإعراب هو السمة المميزة للنحو، حتى صاروا يطلقون عليه علم الإعراب، ولا يفوتنا أن ننوه إلى أنهم بهذا الرأي قاموا بتضييق مجال اهتمام النحو لأنه أوسع من ذلك بكثير، وهذا ما تبناه الموقف الثاني الذي يرى أن علم النحو " علم بالأحوال والأشكال التي تدل بها ألفاظ العرب على المعاني ونعني بالأحوال وضع الألفاظ من حيث دلالتها على المعاني التركيبية أي المعاني التي تستفاد بالأشكال ما يعرض في آخر طرف اللفظ وسطه من الآثار والتغيرات التي تدل به ألفاظ العرب على المعاني"[3]؛ وتفسيرا لذلك فعلم النحو لا يقتصر على الإعراب والبناء فقط بل يتعدى إلى الكشف عن دلالة المعاني المبهمة، فمن لا يعرف هذا العلم عن حقيقته لا يتلذذ بحلاوته.

---

[1]-جورجي شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ط4، دار الريحان، ، بيروت، د ت، ص 135.

[2]-إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د ت، ص17.

[3]- عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ، المملكة العربية السعودية الرياض،1980، ص229-230.

ومن زاوية أخرى نجد علم البلاغة، الذي يقوم بدراسة العبارة اللغوية لا من حيث معناها الأصلي الذي يفهم من منطوق اللفظ، وإنما من خلال المعاني الإضافية التي تدل عليها التراكيب، وهذا هو موطن البلاغة بعلومها الثلاث البيان، البديع، المعاني، وهذا الأخير يعد محور التقاء علم النحو والبلاغة، وذلك من خلال اهتماماته ودراساته والذي يعرف على أنه: " العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[1]؛ وتوضيح ذلك أن علم المعاني هو العلم الذي يدرس أحوال الجملة، التي تأتي معبرة عن المعنى المقصود بدقة.

يقول **ابن كمال باشا** مفرقا بين علم النحو وعلم المعاني:" يشارك النحوي صاحب المعاني في البحث عن المركبات إلا أن النحوي يبحث عنها من جهة هيئاتها التركيبية صحة وفسادا، ودلالة تلك الهيئات على معانيها الوضعية على وجه السداد وصاحب المعاني يبحث عنها من وجه النظم المعبر عنه بالفصاحة في التركيب وقبحه"[2]وتأسيسا على ذلك فعلم المعاني يبحث عن محاسن التعبير وقبحها في التركيب، بينما علم النحو يحاول الوصول إلى صحة وفساد تراكيب الألفاظ أو الجمل على معانيها المصطلحة عليها.

ومن خلال ما نصت عليه النصوص السابقة المأثورة عن العلماء فقد ضمت علم المعاني وعلم النحو من جهتين:

–الأولى هي صحة التأليف في التراكيب من أجل أن لا يخرج صاحبها عن نظام العربية ولا يقع في اللحن بحيث يكون كلامهم مطابق للمعنى الأصلي وهو الذي يبحث فيه علم النحو.

–أما الثانية هي حسن التركيب وقبحه بحيث يفيد معان أخرى غير الأصلية وهي المعاني المقصودة وهي التي يبحث فيها علم المعاني واستنادا إلى كل ما سبق ذكره نستخلص أن:

[1]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة،(المعاني، البيان، البديع)، وضح حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ–2003، ص04.

[2]– الشيخ لخضر حسين و الشيخ الأزهر، دراسات في العربية وتاريخها، ط3، المكتب الإسلامي، دمشق، د ت، ص231.

– علم النحو وعلم البلاغة ليسا علما واحدا، وإنما علمان مختلفان فلكل واحد منهجه ومبادئه وأسسه العلمية التي يقوم عليها، ولكن هذا لا ينفي أن هناك نقاط تلاقي بينهما، إذ أنهم يلتقيان في تركيب الجملة بالضبط .

– فالبلاغة إذن تمام لعلم النحو، فهما بذلك يكملان بعضهما البعض، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ثراء علوم اللغة العربية وترابطها فيما بينها، وذلك ما جعلها تحتل مكانة بارزة بين باقي اللغات الأخرى.

2–العلاقة بين النظم والنحو:

إن المتتبع للدراسات السابقة المنثورة عن العلماء والدارسين في مجال اللغة العربية لا يخفى عليه مجموع العلاقات والروابط الموجودة بين شتى علومها المختلفة (الصرف، النقد، البلاغة، النحو) لأنها تعد من أغنى وأوسع اللغات في العالم، من حيث مفرداتها وألفظها، إذ لا يفوتنا أن ننوه أنها لغة القرآن الكريم وهذا يكفيها عزة وشرفا، وبما أن علم النحو وعلم البلاغة يعدان الركيزتين الأساسيتين في النظام اللغوي، إذ أن هذا لا ينفي أنه هناك أهمية في هذا النظام لباقي العلوم الأخرى ، كالصرف وغيره عموما ، وإنما النحو والبلاغة أخذا حصة الأسد الكبرى في الإهتمام والدراسة عند مختلف العلماء، وذلك نظرا لتعلقهما بصناعة الكلام وطريقة إنجازه لأنه الوسيلة الأساسية التي يعبر بها كل فرد عن أفكاره وأغراضه.

فحري بنا التطرق إلى نظرية النظم التي تعد من أهم النظريات وأوسعها فقد ارتبطت بشتى العلوم الأدبية من أدب ونقد عامة و بالبلاغة خاصة إذ أنها ساعدت على إلتقاء فلسفة الفن بفلسفة اللغة وربطت بشكل خاص بين النحو والبلاغة فانبثقت عنها فكرة النحو البلاغي والبلاغة النحوية، ولا يمكننا أن نمر مرور الكرام دون ذكر صاحب هذه النظرية الغني عن التعريف" **عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ)**" الذي يعد عالم لغة قبل أن يكون عالم بلاغة ،" إذ أن النظم عنده ليس بذلك المعنى الشائع عند غيره وهو ضم الشيء إلى الشيء بل هو العلاقة بين الألفاظ والمعاني داخل إطار العبارات وهذا ما يسمى عنده بالنظم يقول في هذا المقام "[1] إعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو

[1]- د محمد بن صالح، علاقة النظم بالنّحو عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة الباحث فصيلة دولية أكاديمة محكمة، ع : 09 أفريل 2012 جامعة المسيلة، الجزائر ، ص59

تعمل على قوانينه وأصوله وتعرف في مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها"[1] بمعنى أنه ربط الكلام بدلالاته ومعانيه على الوجه الذي يصوره العقل، بحيث تكون هناك علاقة واضحة بين الدلالة والمعنى الحقيقي ، تلك هي فكرة النظم في نظره وهذا لا ينفي أنه لم تكن نظرية النظم موجودة من قبل، فقد كانت شائعة منذ القرن 18 هـ عند مختلف العلماء أمثال" **المبرد الخطابي(ت:285هـ)" و" أبي هلال العسكري(ت:395هـ)"** إذ يقول هذا الأخير في كتابه الصناعتين عن النظم "....حسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها وتكمن في أماكنها ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والزيادة إذ لا يفسد الكلام ، ولا يعمى المعنى ونظم كل لفظة منهما إلى شكلها و نطاق إلى لفقها وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها وصرفها عن وجوهها وتغير صيغتها ومخالفة الإستعمال في نظمها"[2].

وهذا باب من أبواب القول، في النظم عند سابقي **الجرجاني(ت:471هـ)** ، لكن هذه الأخير يبقى هو العامل الأساسي الذي أولى جلّ اهتماماته بهذه النظرية، فبدل جهده من أجل وضع مفهوم واضحا ودقيقا لهذه النظرية وأسسها التي ترتكز عليها، لأنه لا وجود لنظرية دون أسس ولا تبنى من العدم، فهو بذلك اعتمد على مختلف الدراسات التي سبقت في هذا الباب، فكانت بمثابة الأرضية المهيئة للإنطلاق، فقد تجاوز النظم عند **الجرجاني(ت:471هـ)** الحدود الإصطلاحية الذي شاع عليها ليرتقي إلى مفهوم بارز ومدروس، بحيث يقوم على دراسة البلاغة في ضوء جديد وفي قالب مدعم من طرف النحو وأحكامه ومفهوم نظرية النظم التي سبق ذكرها عند الجرجاني أدلّ دليل على ذلك، فهو بذلك يسعى إلى تطوير النحو وتوسيع دائرة البحث فيه، فعندما أراد البحث في نظرية النظم لم يكن هدفه الأساسي إعادة ما أورده الذين من قبله، بل عمد إلى الإتيان بمنهج جديد يعمل على الربط بين النحو والبلاغة، فكانت نظرية النظم الجسر لذلك فلا يمكن الفصل بينهما فهما يلتقيان في الكلم وضم بعضه إلى بعض، فلا يمكن دراسة بلاغة الكلام دون دراسة الجانب النحوي الذي يُطرحُ فيه، لأنه العامل الرئيسي الذي يحكم العلاقات التي

[1] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة،2000، ص81.

[2] – أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح : محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر العربي، د ت ص167.

تقوم عليها نظرية النظم لأن فساد التركيب نشأ عن عدم توخي ومراعاة معاني النحو وأحكامه بين مختلف المفردات ولعلّ أبرز مثال على ذلك ما قدمه الجرجاني من مطلع سورة الفاتحة " **ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِين** ".

فقد جعل الحمد أولا للإبتداء به وجعل " الله" ثانيا للإخبار به أما ربُ جعلها ثالثا لكي يصف بها الله سبحانه وتعالى **فعبد القاهر الجرجاني(ت:471هـ)** بهذا المثال قام بتوسيع دائرة اهتمام ودراسة النحو فالمراد به ليس إعراب الكلمات فقط، بل المراد به المعنى الذي يفهم من الكلمات فيوضح هذا المفهوم بأن " الحمد " مبتدأ" و " الله" خبر و" ربُ" [1] صفة وهذا إن قيل عنه إنما يقال عنه حسن التدقيق في الدّراسة والإلمام بها من شتى جوانبها المختلفة.

فالمفاهيم النحوية تعد اللبنة الأساسية لفهم الوظائف البلاغية، كمثال لا يمكننا فهم الوظائف البلاغية للحذف إن لم نعرف طبيعة المحذوف وموضعه وعلاقته التركيبية من كونه مبتدأ أو خبرا أو مفعولا لأن البلاغة ليست علما قائما برأسه غير متعلق بآخر بل هي ثمرة النحو وكثيرا ما يضيف لمسته فيها.

وبهذا كله فإن **عبد القاهر الجرجاني(ت:471هـ)** فقد أقرّ حقيقة لا توجد أخرى غيرها، وهي أن النظم لا يكون إلا وفق سير قوانين النحو وأسسه، بحيث أنه يؤسس لعلاقة تلازمية بين النحو والبلاغة عن طريق النظم،كما يقال أن هذا الأخير هو جوهر النحو في أحكامه ، فلا يمكن فصله عن البلاغة العربية .

بعد كل ما سبق ذكره نستخلص أن عبد القاهر الجرجاني لم يستطع أن يتجاوز دراسات السابقين في نظرية النظم بحيث عمل على تطويرها والتّمعن فيها، كما إعتبر علم النحو علما واسعا وشاملا فلم يقم بحصر اهتماماته في أواخر الكلمات فقط بل تجاوز ذلك إلى معرفة معاني الألفاظ والكلمات .

تعد نظرية النظم من أسمى النظريات وأرقاها في البلاغة العربية أما جوهرها فهو في النحو وهذا ما امتازت به دراسة الجرجاني حيث أقر نتيجة ثابتة لا تغيير فيها وهي العلاقة البارزة بين النحو والبلاغة والتي تكمن في نظرية النظم والتي تجمع بين الحسّ الفني والجمالي للكلم وفق قواعد مضبوطة ومحكمة يوفره لها النحو.

[1] – محمد بن صالح، علاقة النظم بالنحو عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة الباحث فصيلة دولية أكاديمية محكمة، العدد09، أفريل 2012، جامعة المسيلة الجزائر،ص63.

فالنظم إذن ما هو إلاّ مجموعة من العلاقات التي تربط بين الدلالات وألفاظها بحيث يكون هناك تناسق في بين ما هو موجود في الذهن وما هو مبثوث ومطروح في الألفاظ.

3- مفهوم بلاغة الجملة :

من المعلوم أن الجملة أساس النظام اللغوي، ووسيلة التواصل على العديد من الأصعدة، سواء كانت إجتماعية أو علمية أو غيرها، وباعتبارها مضمار التركيب اللغوي فقد اعتنى بها الكثير من الباحثين البلاغيين حيث أوردو لها عدة مفاهيم حسب منظورهم البلاغي من بينها نجد:

يقول السامرائي " أن الجملة لا بد أن تفيد معنى ما، وإلا كانت عبثا .... فلو قلت "سوف محمد حضر" أو " سمع نام لم" أو " ما خالد منطلق أبوه" أو " السماء يحضر محمد " لم يفد ذلك شيء "[1] وتوضيح ذلك أن الجملة من الضروري أن تفيد معنى ما وإلا كانت هباء وبالتالي فالبلاغيون بذلك قد نحو منحى النحاة القدامى، الذين ألزموا الجملة و الكلام صفة إفادة معنى معين.

إذن بما أن " الجملة تؤدي معنى معين فهذا الأخير ينبغي أن يتصف بأمور ليصبح الكلام الذي يؤديه مقبولا"[2]

-ألا يؤدي التعبير إلى المستحيل نحو قولك" كل المعادن تنصهر بفعل الحرارة" .

-ألا تكون كلمات التعبير متناقضة فيما بينها نحو قولك" قال لي أخو محمد أنه لا أخ له.

-ألا يكون المعنى الذي يقدمه التعبير لا فائدة منه لأنه مألوف نحو قولك" الشتاء بارد والصّيف حار".

-أن يكون التعبير سليما من الجانب اللغوي بحيث يكون مبتذلا على صور كلام العرب الفصيح نحو قولك" أقبل محمد" ولا تقول سوف يأتيك محمد البارحة .

-أن يفيد الجزء الثاني من الكلام مالا يفيده الجزء الأول فإن لم يعطي الجزء الثاني فائدة غير ما أفاده الجزء الأول لم يصح الكلام" [3]

---

[1]- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، ط1، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1431هـ-2000م، ص7.

[2]- نفس المرجع، ص7.

[3]- ينظر : نفس المرجع ، ص07-11.

وفي مستخلص الحديث نتوصل إلى أن بلاغة الجملة عبارة عن مجموعة متتالية من المفردات، التي تؤدي معنى مفيد، بحيث أن يكون ذلك المعنى غير خاضع لمجموعة من النقائض، كأن لا يكون مستحيل أو مبتذلا أو غير مفيد أو متناقض من أجل تحقيق غايته الأسمى وهي تأدية معنى مفيد مقبولا على جميع الأصعدة خاصة من الناحية اللغوية ، فالبلاغيون إذن فتحوا بابا للجملة وجعلوها محط اهتمامهم، من خلال علومهم الثلاث الغنية عن التعريف البيان، البديع و المعاني عامة ومن خلال أساليب التعبير في الصور البيانية خاصة، وهذا موطن بلاغة الجملة بالضبط وأبرز مثال على ذلك الكناية التي تقوم بتقديم المعنى بطريقة غير مباشرة في قالب جميل وفخم، فإذا نظرنا إلى حقيقتها أو معناها الباطن نجدها تؤدي معنى مفيد لا غير ذلك.

4- بلاغة الجملة من منظور الكناية:

تعد الكناية فن من الفنون البلاغية المميزة والذكية، التي تحتاج إلى كتاب وأدباء بلغاء، فتساعدهم على التعبير عن المقامات الصعبة التي تحتوي على نوع من الخفاء دون التصريح بها، وما زادها شرفا ووقار أنها تنطوي تحت علم البيان الذي يعد من أسمى علوم البلاغة، وقد عرّفها البلاغيون في مواطن كثيرة من بينها :" هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكروه باللفظ الموضعي له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه و يكفيه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه"[1] أي أن المتكلم عندما يريد تأكيد معنى معين لا يذكره مباشرة باللفظ، وإنما يوطئ له توطئة تجعله يفهم من سياق الكلام، فتصبح دليلا على المعنى الأول نحو " فاطمة ناعمة اليدين " والمعنى هنا لا يقصد به نعومة الكف بل المقصود هو كناية عن الكسل لعدم قيام فاطمة بأي عمل منزلي وهنا المعنى لا يذكرونه باللفظة الخاصة بل بمعنى آخر يدل عليه .

ولابد من الإشارة إلى أركان الكناية باعتبار المكنى عنه من أجل توضيح بلاغة الجملة من منظورها وتنقسم إلى ثلاثة أركان وهي كالتالي:

[1]- الدكتور أحمد مطلوب والدكتور أحمد حسن البصير، البلاغة والتطبيق، ط2، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1999م، ص369.

1.4. كناية عن صفة :

المراد بها الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة"[1] بمعنى أنها صفة ملازمة للمعنى نحو قول الخنساء في رثاء أخاها صخر:

" طويلُ النجادِ رفيعُ العمادِ كثيُر الرمادِ إذا ما شتا."

وصفت الخنساء أخاها في البيت الأول من أجل الدلالة عن الشجاعة والجود فتسترت بالمعنى الحقيقي وعبرت عنها بصفات أخرى ، ولازمة الصفة قد تكون بعيدة أو قريبة .

-**الكناية القريبة** : تنتقل من المكنى به إلى المكنى عنه بغير واسطة نحو " **كثير الرماد** " فكنايتها القريبة إشعال الحطب.

-**الكناية البعيدة** : الإنتقال من المكنى به إلى المكنى عنه بواسطة نحو" **كثير الرماد** " كثرة حرق الحطب ثم كثرة الطبخ ثم كثرة الضيوف ثم الكرم.

2.4 كناية عن موصوف :

والمراد به غير صفة ولا نسبة ثمنها ما هو معنى واحد كقولنا المضياف كناية عن زيد"[2] فهذا النوع عبارة عن لفظ يطلق ويراد به معنى لازم يشار إليه فيصبح موصوفا نحو قولنا :" **بلاد ما بين النهرين**" كناية عن العراق ، " مدينة الضباب" كناية عن لندن.

3.4 كناية عن نسبة :

يقصد بها هنا صفة لا تكون منسوبة إلى الموصوف بل تنسب إلى شيء متصل به إثباتا أو نفيا فيصرح بالموصوف ويصرح بالصفة نحو قولنا " الجود في طرف ثوبه " ذكر الصفة وهي الكرم و لكنه عدل نسبه إليه مباشرة فنسبت إلى طرفي الثوب وهو ما يلازم صاحبه.

فالكناية إذن تلعب دورا فعالا في تحسين الذوق الفني في الجملة وتمنحها العديد من الأساليب السلسة المستساغة من أجل تحقيق أهداف لغوية وفكرية وجمالية في الجملة المراد تكوينها.

---

[1] - د أحمد مطلوب، ود حسن البصير، البلاغة والتطبيق ، ص372.

[2] - نفس المرجع، ص371.

علاوة على ذلك فإنها تزيد من تقوية الربط بين ألفاظ الجملة الواحدة أو بين الجمل ككل فتحسن من تراكيب المفردات وانتقاء المعنى الذي يجعلها بحلة لغوية راقية تزيد من بهاء المعنى واللفظ المستخدم مع مراعاة الإيجاز والتدليل على المعنى بالإشارة.

وخلاصة القول في هذا الصدد أن سر بلاغة الجملة من منظور الكناية يكمن في :

– قدرة الكناية على تركيب الجملة تركيبا مسترسلا يصل إلى قلب المتلقي أو القارئ في سياق ونموذج دقيق وسليم وبليغ.

–كما أنها تساهم بشكل كبير في منح الجملة حسا حيويا حركيا بحيث يستمتع القارئ أو المخاطب بالجملة من الجانب الخارجي أما الداخلي فتمكنه في نفسه وتأثر فيه معنويا وتجعل نوعا ما من التطابق بين تفكير المتلقي والواقع وذلك من خلال الرجوع إلى المعنى الحقيقي والمراد بها.

5–الفرق بين بلاغة الكلام و بلاغة المتكلم :

1.5.**بلاغة الكلام** :" هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع سلامته من العيوب المخلة بفصاحته وفصاحة أجزائه"[1].

و إذا أردنا التمعن في هذا المفهوم نلاحظ أن المقصود بالحال هو ذلك الموقف الذي يقتضي إنتاج كلام حسب مقامه مع مراعاة الجو النفسي للمتكلم الذي ينطوي تحته المتكلم والظروف الخارجية المحيطة به.

أما مقتضى الحال : هو ذلك الأمر الزائد الذي اعتبره المتكلم في كلامه لإقتضاء الحال إياه"[2] بمعنى أن الكلام يملك اعتبارات خاصة وهيئات ثابتة وصياغات محددة يستعمل في إيطار ومقام محدد ويسمى الاعتبار المناسب أو الخصوصية.

بينما مطابقة الكلام لمقتضى الحال تعني " ظهور كلام المتكلم وفق الصورة التي يقتضيها الحال والتي يقال فيها أي تطبيق المتكلم في كلامه ما تفرضه عليه حالة مخاطبة من مقتضي أي كيفية خاصة" [3] أي أنها الصورة الكلية للكلام التي تكون مطابقة للموقف الذي يقال فيها .

[1]–د عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الإصطلاحية، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1412هـ–1992م، ص30.

[2]– نفس المرجع، ص30.

[3]– عيسى علي و سعد الشتيوي، الكافي في علوم العربية المعاني البيان البديع، د ط، الإسكندرية، 1993م ص39.

ولابد على بلاغة الكلام أن تشتمل على ثلاثة أسس لكي تكون مستوفية مفهومها الأصلي وهي كالتالي:

أولا: سلامة اللغة وسدادها أي صحة ألفاظها وعباراتها من الشوائب والعلل .

ثانيا: أن يكون المعنى المراد إيصاله متناسقا ومنسجما مع العبارات التي يستخدمها المتكلم.

ثالثا: أن يكون المتكلم ملتزما بجانب الصدق في ذاته.

2.5. بلاغة المتكلم : هي " ملكة في النفس يقتدر بها صاحبها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال وسليم من نواقص الفصاحة في أي معنى قصده والملكات عندهم هي الصّفات الرّاسخة التي تحصل بتكرار الشيء " [1] فهي إذن ميزة يمتلكها المتكلم متجذرة وثابتة عنده، فمن خلالها يمكنه إنتاج كلام بليغ في أي معنى يريد إيصاله، بحيث يكون بليغا دون نطق فإذا نطق وكتب كان بليغا بالفعل، فليس كل فصيح بليغ لأن البلاغة ترتبط وتختص بالمتكلم بالضبط ومثال ذلك :" قد سئل أعرابي : ما هذه البلاغة فيكم ؟ فأجاب شيء تجيّش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا ففيهم من هذا أن البلاغة تشتمل على التفكير في المعاني التي تعتمد في الذهن وتهيئتها إعدادها يتم اختيار القوالب الكلامية التي تصور هذه المعاني خير تصوير"[2]

فلا تسمى بلاغة المتكلم بلاغة إلا إذا ابتعدت عن بعض العيوب التي قد تزدريها ومن بينها":

1–الغرابة : ومن أجل الإبتعاد عن هذا العيب يتوجب على المتكلم أن يكون واسع الإطلاع على مختلف الكتب والمعاجم اللغوية العربية من أجل اكتساب رصيد كافي من المفردات المستعملة فيمكنه ذلك من تجنب الغرابة في المصطلحات.

2–المخالفة: هي عدم خروج المتكلم عن المألوف والثابت مما طرحه القدامى من قواعد ومعارف.

3–التنافر: "ملاك معرفته الذوق السليم فهم الذي يقول أن اللفظ مستشزرات متنافرة الحروف وهو الذي يدرك ما بين الكلمات من تنافر أو تضافر والذوق نوعان فطري ومكتسب"[3]

[1] – عيسى علي و سعد الشتيوي، الكافي في علوم العربية المعاني البيان البديع، ص42.

[2] – نفس المرجع، ص43.

[3] – د عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الإصطلاحية، ص32.

4-ضعف التأليف والتعقيد اللفظي: يتجنبه المتكلم من خلال إحاطته بقواعد علم النحو فهو يرتبط بكفية استخدام الكلمات في نظام صحيح من أجل تكوين جمل سليمة خالية من الضعف والتعقيد.

5-الخطأ في تأدية المعنى المراد: يحاول فيه المتكلم أن يطابق الكلام بالمقام الذي يحيط به من أجل إيصال المعنى الصحيح و المراد ولا يحدث له التباس في ذلك.

6-التعقيد المعنوي: تعرفه بدراسة علم البيان فمن استوعب مفردات هذا العلم إستبان السبيل المثلى لعرض المعاني واضحة بينة لا تشكو تعقيدا ولا عوجا ولا أمتا"[1] .

بالإضافة إلى نقطة أخرى وهي عدم احتواء الكلام على محسنات بديعية و التي تمنحه قوة ودقة وجمال في التعبير .

وبناء على كل ما سبق تقديمه نستخلص أن الفرق بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم يتضح في :

-بلاغة المتكلم نابعة من ذاته فهي صفة ذاتية عميقة وأصيلة بينما بلاغة الكلام تكمن في صياغة وتركيب الجمل وفق قواعد محكمة.

-ترتبط بلاغة المتكلم حق الإرتباط بالبلاغة فيقال فلان بليغ ولا يقال فلان فصيح أما بلاغة الكلام ترتبط بالفصاحة فيقال كلام فصيح.

-تستوفي بلاغة المتكلم بالضرورة احتوائها على عامل الصدق لأنها نابعة من ذاته فلا تحمل الكذب إذن فتقوم بالتأثير في نفس المتلقي بينما بلاغة الكلام عكس ذلك تماما.

[1] - ينظر : د عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الإصطلاحية، ص32.

الفصل الثاني : الإشراق البلاغي في عربية ﷺ

أ/ الإشراق البلاغي في عربية النبي ﷺ من منظور الرّافعي في كتابه: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية

1-التعريف بصاحب المدونة

2-مفهوم البلاغة النبوية عند الرافعي.

3-نماذج تطبيقية من بلاغة الجملة من منظور الرافعي .

4-نسق البلاغة النبوية عند الرافعي .

5-خصائص البلاغة النبوية عند الرافعي.

ب/ الإشراق البلاغي في عربية النبي ﷺ من منظور الشريف الرضي في كتابه: المجازات النبوية

1-نماذج تطبيقية من بلاغة الجملة عند الشّريف الرّضي.

2-التّرقي اللغوي لعربية النبي من خلال المدونتين.

أ/ الإشراق البلاغي في عربية النبي ﷺ من منظور الرّافعي في كتابه: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية:

1-التعريف بالمدونة وصاحبها:

تعريف بصاحب المدونة:

"هو مصطفى صادق بن عبد الرّزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرّافعي، ولد يوم01 يناير 1880م في قرية بهتيم في محافظة القليوبية بمصر، أصله من طرابلس الشّام، أصيب بالصّمم في ريعان شبابه فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به ، وكان أبوه قاضيا شرعيا ورئيسا لكثير من محاكم مصر، فكان من عادة أسرته أن تنشأ أبناءها تنشئة إسلامية ذات ثقافة تقليدية، نشأ بطبيعة الحال في ذلك الجّو وتعلم شيء من الدّين وحفظ شيئا من القرآن ، ولم يتجاوز في التعليم النظامي شهادة الإبتدائية من مدرسة المنصورية، فكان شعره نقي الذباجة ونثره من الطّراز الأول واشتهر بأصالة الفكر، وجزالة اللغة وقوة البيان، حتّى لقب بمعجزة الأدب العربي، توفي يوم الإثنين 10 ماي 1937 بعد صلاة الفجر، وهو يتلو القرآن الكريم"[1]، وقد ألف العديد من الكتب القيمة منها: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، وحي القلم ثلاثة أجزاء، تاريخ الأدب العربي جزءان ، تحت راية القرآن، رسائل الأحزان، ديوان النظرات ، حديث القمر...).

التعريف بالمدونة:

يعد كتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لصاحبه مصطفى صادق الرّافعي، من أرقى ثمرات العلم والمعرفة فأوضح سمات البلاغة الظاهرة في الخطاب الإسلامي بشقيه الإلهي القرآن الكريم والحديث النبوي فجاء بطبيعة الحال في قسمين قد أولاهما رصدا دقيقا لملامح الإعجاز القرآن الكريم.

" فتحدث عن بلاغة النصوص الأدبية وإعجازه العلمي والإجتماعي كما أجل الحكمة من نزول القرآن بلغة قريش، مع الإشارة إلى لغات القبائل الأخرى التي نزل فيها القرآن الكريم، وتحدّث في هذا القسم أيضا عن المشاهير و القرّاء، والمذاهب المتبعة في قراءة القرآن الكريم بالإضافة إلى تناوله لآراء الفرق الإسلامية وأقوالها في إعجاز النّصوص القرآنية، وتطرّق كذلك إلى الحديث عن وجه إعجاز الأحرف السبعة

[1]- أنظر: www.aljazeera.net ، الموسوعة مصر، 2014/12/13.

التي نزل بها القرآن، ثم أفرد الكلام في القسم الثّاني للحديث عن البلاغة النبوية وتأثيرها في اللغة العربية وقد حظى الكتاب عند صدوره بإشادة كبيرة من النّقاد و المفكرين والأدباء فكان هذا الكتاب بمثابة إنطلاقة علمية عملاقة في ساحات الدّرس البلاغي بمنحها الرافعي للدّارسين والمهتمين بالإعجاز القرآني عامة والحديث النّبوي خاصة الذي أفرده في فصل كامل"[1].

2-مفهوم البلاغة النبوية عند الرافعي:

" هي التي تعرف الحقيقة فيها كأنها فكر صريح من أفكار الخليقة، وتجيء بالمجاز الغريب فترى من غرابته أنه مجاز في الحقيقة، وهي من البيان في إيجاز تتردد فيه "عين" البليغ فتعرفه مع إيجاز القرآن فرعين؛ فمن رآه غير قريب من ذلك الإعجاز فليعلم أنه لم يلحق به هذه العين"[2]

فتمتاز عبارات هذه البلاغة بالجمال والسمو، الذي يعبر عن الحقيقة ذلك لأنها ألفاظ النبي صلّ الله عليه وسلم، لارتباط قلبه بجلال خالقه فتنبع الألفاظ والكلمات من مهجته فيصقلها ويهذبها لسان نزل عليه القرآن الكريم، فإن لم تكن من الوحي بذاته فإنها جاءت من نفس الطريق، فإذا لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي منه دليله حصينة النظم والنسق، وكأنها في اختصارها وإفادتها خفقان قلب يتكلم فتصب في شكل قالب لغوي بلاغي رفيع، فهي بذلك العلو والبهاء بذاته هي مظهر من خواطره ﷺ"[3]، فهذه هي " البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها وسحرت العقول دون غايتها لم تصنع وهي من الأحكام كأنها مصنوعة ولم يتكلف لها وهي السهولة بعيدة ممنوعة[4].

بمعنى أن البلاغة الإنسانية سميت بذلك لأنها جاءت على لسان رسول الله ﷺ، الذي تعلق فؤاده برب الكون الواحد الأحد فكانت كالبلسم والغذاء لنفس المؤمن ببساطة ألفاظها ودقتها وبعد معناها الحقيقي، الذي يلمس النفس فتكون بمثابة السهل الممتنع، فإذا كانت بمثابة النصيحة قلت تأوه من فؤاد

[1]- أنظر: موقع مؤسسة هنداوي، 2024.

[2]- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، راجعه درويش الجويدي، المكتبة العصرية صيدا، د ط، بيروت، 2003م ص227.

[3]- ينظر: نفس المرجع، ص227.

[4]- نفس المرجع، ص 227.

مقروح، فإذا وضعت في باب الحكمة قلت عنها صورة بشرية من الروح، فمن المؤكد أن القرآن الكريم نص من السماء إلى الأرض وهذا كلام الأرض بعد السماء، فقد كان الرافعي يشير إشارات موجزة إلى جمال هذه النصوص النبوية سواء من حيث الآداء أو الأسلوب فكان يمزج بين تأملاته الفكرية و انطباعاته النفسية المعنوية إذ يقول في هذا الموضع:" كنت أتأمله – أي كلام الرسول- قطعا من البيان فأراه ينقلني إلى مثل هذه الحالة التي أتأمل فيها روضة تتنفس على القلب أو منظر يهزّ جماله النفس أو عاطفة تزيد بها الحياة في الدّم علّة الهدوء وروح الإحساس ولذّة "[1]نحو قوله ﷺ" **مَاتَ حَتْفَ أَنْفه**" بمعنى أنه مات وهو على فراشه، كما نجد كذلك دلالة أخرى أضافها الرافعي وهي " أن موت الرجل على فراشه من غير حرب ولا قتال ولا أمر يؤرخ به الموت في الألسنة بما كانوا يأنفون له والحتف هو الهلاك فكان صاحب هذه الميتة إنما ماتت أنفته وكبرياءه فلم يرفع الموت أنفه في القوم بل أذله و أرغمه فكان به هلاك لأن حياته كانت في عزته و عزته كانت في أنفه وأنفه هو الذي كبّه الموت"[2] .

و في موضع آخر نجده قد أشار إلى قوة التعبير عن شدة الحرب وصفاتها في قوله ﷺ:" **الآنَ حُميَّ الوَطيسْ**" وقيل أن الوطيس هو التنور وهو المكان الذي يقطن فيه الوقود وتجتمع فيه النار فيتبادر إلى ذهن السامع صورة فيها نوع من الحرارة وإلتهاب النار مثل قولنا إشتعلت الحرب أو ما شابهها، فهي بذلك كناية عن شدة وسخونة وقوة الحرب، وكلمة وطيس أفضل إستعارة عن الحرب .

وفي مستخلص الحديث عن البلاغة النبوية يمكننا القول أن **مصطفى صادق الرافعي** رائد من رواد العصر الحديث في دراسة هذه البلاغة، ولقد اهتم بها اهتماما بليغا وجعلها من أولوياته، فعدّت من ثمرات نجاحه من خلال وضعه للعديد من التفسيرات والتوضيحات البسيطة عنها، فقام بفتح باب أمام العديد من الدّارسين والأدباء من أجل الولوج إلى هذا المجال الذي يتميز بالسموّ والجمال ويحتلّ منزلة عالية بين الفنون الأدبية الأخرى، والجدير بالذكر أنها تعدّ مرجعا أساسيا لتعليم الأجيال الناشئة فما يحقّ القول أن البلاغة النبوية صورة أصيلة متجذّرة في قلوب الباحثين فيها، وذلك من خلال القوالب الجمالية التي تصبّ فيها و

[1] – مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج2، 2001م، ص128.

[2] - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص253.

العبارات والألفاظ الفريدة الواضحة السّهلة التي تستعمل في إيصال المعاني الحقيقيّة و ما زادها فخرا و وقارا و دقّة أنها جاءت على لسان نبينا محمد صلّ الله عليه وسلم وهذا أدلّ دليل على ذلك.

3- نماذج تطبيقية في بلاغة الجملة من منظور الرافعي:

أ.نموذج من المدونة :

1- يقول صلّ الله عليه وسلم " **بُعثْتُ في نَفْس السَّاعَة"** فقد قام **الرافعي** من خلال تفسيره لقول رسول الله صلّ الله عليه وسلم الكشف عن أسرار النظم في اختيار الألفاظ المناسبة كلفظة" **نفس**" وما تفيده من دلالات معنوية كافية ومنها.

- أن الساعة التي يبعث فيها قريبة منه، فقام بوصفها بلفظة تدل على أدق المعاني، الحسّ بالشيء القريب كما أنها تحتوي على دلالة شدة القرب فلم يستعمل التعبير النبوي وهو لفظة " أنفاس" بالجمع وإنما استعمل كلمة نفس فأفردها لتكون دلالتها أشد قربا لأن النفخة واحدة وهذا معنى آخر، فإن النفخة الشديدة متى جاءت من بعيد كانت كالنفس من الأنفاس، فليس المراد بقرب الساعة أنها قد تكون اليوم أو غدا؛ بمعنى التعيين لكن المراد أنها آتية لا ريب فيها أن ما بقي من عمر الأرض ليس شيء فيها فيما مضى.

-كما أشار كذلك إلى معنى مجازي آخر، وهو أن تلك اللفظة معنى ثابت كأن يقول عمر الأرض كان طويلا، فكانت الساعة بعيدة ثم قصر هذا العمر وبدأت الساعة تتنفس، وما يدرينا أنه قد حان أجل الأرض كما يحين أجل النهار، عندما تبدأ الدقيقة الأولى من ساعة الغروب ثم لا ينقضي هذا الأجل إلا في الدقيقة الأخيرة من هذه الساعة .

-وبقي معنى آخر رائع في لفظة" نفس" وهي أن يقال عن المجاز "فلان في نفس من ضيقه" إذا كان في سعة مندوحة وقد عرّف الضيق ما هو بعيد أن شدّ عليه وكتم أنفاسه فيكون التفسير في ذلك أن الساعة آتية أو قريبة إذن فليفكر الناس في خدمة آخرتهم فليجتهدوا ومن أجل أن يملؤوا أنفسهم بالخير قبل أن يشيّدوا ويغرسوا أرضهم لأن الساعة في آخر المطاف تنتهي وهذا شيء معترف به"[1] .

[1]- ينظر: مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص264-265.

2– قال صلّ الله عليه وسلم " **هُدْنَةٌ عَلَى دَخْن**" يقول **الرافعي** في تحليله لهذا القول والهدنة : الصلح والموادعة والدّخن : تغيير الطّعام إذا أصابه الدّخان في حال طبخه فأفسد طعمه، ففي هذه العبارة عدم الموازنة بينهما وبيّن معناها لأنها تحتوي على تصوير بياني فإذا طرحت كل اللغة فإنها لم توفي بذلك أنّ الصلح إنما يكون موادعة ولين وابتعادا عن الحرب وامتناعا عن الأذى، فهذه كلها من صفات القلوب الإنسانية السليمة الرحيمة فالصّلح لا يبنى على الفساد فإذا غلبت العلل أفسدت و أمرضت القلوب فلا يستريح آخرون منها أي من أفعالها، وذلك مثل غلبة الدّخان على الطعام فلا يستطيع الآكل أكله" [1] بسبب رائحة الدّخان التي تخللت فأصح بذلك طعاما فاسدا مشبوبا.

ب.نموذج من وحي القلم:

1–قال رسول الله صلّ الله عليه وسلم لأسامة بن زيد وقد كساه قبطية فكساها إمرأته :" **أَخَافُ أَنْ تَصفَ حَجْمَ عظَامَهَا**" قال **الرافعي** : قال **الشريف الرضي** في شرح هذا الحديث وهذه الإستعارة المراد أن القبطية برقتها تلتصق بالجسم، فتبين حجم الثديين والرادفتين وما يشتد من اللّحم العضدين والفخذين فيعرف الناظر إليها مقادير هذه الأعضاء حتى تكون كالظاهرة للحظة، والممكنة للمسة، فجعلها عليه **الصلاة والسلام** لهذه المحال كالواصفة لما خلفها، والمخبرة عما استتر بها؛ وهذه من أحسن العبارات لاعن هذا المعنى ولهذا الغرض رمى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في قوله: " **إيَّاكُمْ وَلَبْسُ القُبَاطي؛ فَإنَّهَا إلاَّ تَشفُّ تَصفْ**" فكان الرسول ﷺ أبا عذرة هذا المعنى، ومن اتبعه فإنما سلك نهجه وطلع فجه" [2]، فقد أبلغ **الرافعي** غايته الشديدة بهذه المعاني المشارف التي برهنت عليها النصوص الأدبية، حيث أشار إلى ما يحتوي عليه الحديث من فصاحة في اللفظ ودقة في المعنى، ناهيك عن بعده عن التكلف والتعقيد لكن من جهة أخرى أن "عبارة الحديث في معناها السري تحتوي على معجزات البلاغة النبوية التي لم يهتدي إليها الشريف الرضي فإنه عليه الصلاة والسلام لم يقل أخاف أن تصف حجم أعضاءها بل قال عظامها مع أن المراد هو لحم الأعضاء في حجمه وتكوينه وذلك هو منتهى السموّ والأدب، إذ ذكر أعضاء المرأة في هذا السياق

[1] – ينظر: مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص263–264.

[2] – ينظر: الشريف الرضي، المجازات النبوي، تح: د طه محمد الزيتي ، منشورات مكتبة بصيرتي، دط، دت، ص166.

وبهذا المعرض هو في الأدب الكامل أشبه بالرفاث ورفثه الأعضاء تحت الثوب الرقيق الأبيض تنبه إلى صور ذهنية كثيرة هي التي عدّها الرضي في شرحه و تومئ إلى صورة أخرى من ورائها فتنزّه النبي ﷺ عن كل ذلك وضرب الحجاب اللغوي على هذه المعاني السافرة"[1]، لأنها اللفظة الطبيعية المبرأة من كل نزغة لا تقبل أن تلتوي، ولا تثير المعنى ولا تحمل غرض إذ تكون في الحي و الميت بل هي بهذا الأخص وفي الجميل والقبيح بل هي هنا أليق في الشباب والهرم بل هي في هذا أوضح والأعضاء لا تقوم إلا بالعظام فالمجاز على ما ترى والحقيقة هي ما علمت.

ومن خلال هذا النموذج نرى أن القوالب التي صبّ فيها كلام النبي صلّ الله عليه وسلم، لا يمكن صبّ فيها كلام أي أديب آخر من أدباء العالم فهو يمثل ويجسد سمو البلاغة النبوية الحقيقية، في شتى المواضيع كالحب وجمال الطبيعة وغيرها، فهو بذلك في بلاغة الناس كالقلب في الجسد فلا تخلو منه ولا تبنى إلا عليه لأن الكلام في المرأة وحده شطر الأدب الإنساني، لأنها الجانب الأكبر من الإنسانية فقد عبر عنها عليه الصلاة والسلام بأرقى العبارات البلاغية التي تحسن ظاهرها في الدلالة، ومنه في الحقيقة وهذا ما حاول **الرافعي** الوصول إليه وإثباته من خلال توضيحاته وتفسيراته البسيطة البعيدة عن التكلف و الإطناب التي بينت مواطن علو وسمو البلاغة النبوية وجمالها.

ومن قوله صلّ الله عليه وسلم لحادي مطيّة :"**يَا أَنْجَشَ رِفْقًا بالقَوَارِيْ**" وهذه استعارة عجيبة لأنه عليه الصلاة والسلام شبه النساء في ضعف النحائز ووهن الغرائز بالقوارير الرقيقة التي يوهنها الحقيقة ويصدعها اللطيف فنهى عن أن يسمعنهن ذلك الحادي ما يحرك مواضع الصبوة ويقلل من معاقد العفة فقد جعل بعض العلماء **قوله تعالى**" **قَوَارِيرَ منْ فضَّة، فَقَدَّرُوهَا تَقْديرًا** (الإنسان:16)"فالمراد به هنا غير الزجاج فكأنها القارورة للشراب، وغيره من المائعات فيصلح أن يكون للزجاج ولغير الزجاج أمّا بالنسبة لعامة العلماء والمفسرين فيرون تلك الآنية موصوفة من فضة لكنها تشف شفيف القوارير من زجاج، فهو بذلك أعجز تصويرها وأعجب تقديرها، فقد كانت جامعة للرقة اللطيفة والقوة الحصيفة"[2]وهذا أصدق مثال عن

[1] – ينظر: مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم، ج2، ص139.

[2] – الشريف الرضي، المجازات النبوية، مكتبة لسان العرب، ط1، د ت، ص44-45.

عناية **الرافعي** بالتحليل اللغوي الذي بين فيه أن أسلوب **النبي صلّ الله عليه وسلم** عبارة عن شقّ هادئ هدوء اليقين مبينا بيان الحكمة واقعا من النفس المؤمنة موقع النعمة من شاكرها فلا محال أن يكون غير ذلك، لأنه أمر الروح العظيمة الموجهة بكلمات ربها وحبيبه خالص خلوص السر ليتوجه بها إلى العالم كأنه من مكان المحور"[1]

فالبلاغة النبوية لا يمكن القول عنها إلا أنها بؤرة الجمال والسحر الفني للكلام، الذي يعد مرجع قويا تستنبط منه مختلف الأحكام، فهي كالشمس التي تنشر نورها في الصباح الباكر بعد ليلة مظلمة باردة فكان ذلك النور يشع بدفئه بمثابة العلم الذي يتعلم منه ويؤخذ عنه الأجيال المتوالية، فيصبح ذلك موطن الحسن والدقة والبهاء فيها.

4-نسق البلاغة النبوية من منظور الرافعي:

بما أن الرافعي يعد من بين أحد أهم الكتاب الذين اهتموا اهتماما واسعا بالبلاغة النبوية، فقد بين وأثبت إفراد أسلوب كلام ﷺ في هذه اللغة، وذلك لما فيه من صنعة محكمة وطبع قوي وصقل بديع، مثبتا ذلك بأمثلة من أقواله ﷺ فيقول في هذا الصدد:" قد قلنا في بيان أسلوب كلامه ﷺ أنه " أسلوب منفرد في هذه اللغة فقد بان من غيره بأسباب طبيعية فيه وأن ما أشبه من بلاغة الناس في الكلمات القليلة والجمل المقتضبة لا يشبه في العبارة المبسوطة فلا يستوي له الشبه مع ذلك في كل قليل ولا في كل مقتضب حتى يقع التنظير بين الأسلوبين على الكفاية وحتى يميل الحكم إلى الحزم لأن بعض ذلك كبعضه بلاغة ونسقا وبيانا"[2].

إذ أنه قام بدراستها في جانبها العام والظاهر، وتمّ ذلك من خلال ثلاث جوانب أساسية وهي النسق (اللغة)، والبيان والبلاغة (الحكمة) فيقول **الرافعي** في الأولى :" رأيته في الأولى مسدد اللفظ محكم الوضع جزل التركيب متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات: فخم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه

[1]- ينظر: مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ص30.

[2]- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 260.

واللفظ وضربيه في التأليف والنسق ثم لا ترى فيه حرفا مضطربا ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكره عليه ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى ومتأتيا لسره في الإستعمال" [1] .

فهو بهذا الكلام يشير إلى ما ذكره **الجاحظ**(**ت:255هـ**)ففي نظرية النظم ومقتضياتها الإستعمالية التي تتمثل في الدقة وحسن انتقاء الألفاظ الخاصة بكل مقام وموقف مع استوفاء التركيب حقه اللغوي الذي يرتكز عليه بالإضافة إلى توازن أجزاء الكلام مع بعضه البعض.

أما بالنسبة للعنصر الثاني وهو" **البيان** الذي وصفه **الرافعي** بحسن المعرض، ويوضح ذلك في قوله: "حسن المعرض بين الجملة واضح التفضيل ظاهر الحدود جيد الرصف متمكن المعنى واسع الحيلة في تصريفه بديع الإشارة غريب اللمحة ناصع البيان تم لا ترى فيه إحالة ولا استكراه ولا ترى إضطرابا ولا خطلا ولا استعانة من العجز ولا توسعا من الضيق و ضعف في وجه من الوجوه"[2] .

بمعنى أن كلام النبي صلّ الله عليه وسلم عند **الرافعي** في هذا الجانب أعاده إلى الطريقة والأسلوب وهو الجانب المتعلق بالذوق الفني وجماله في إيصال المعنى، وهذا ما تتصف به البلاغة، أمّا العنصر الثالث "هو الحكمة (البلاغة) فهي الصفة المتعلقة بالمعاني التي طرحت في الحديث النبوي وما تحتويه على حكمة النبوة وعلى نوع من الإثبات أنها وحي منزه من الله عز وجل ليرفع به على الفكر الإنساني وقد وصفها الرافعي بقوله " سمو المعنى فصل الخطاب وحكمة القول ودنو المأخذ وإصابة السر" [3].

إذن للبلاغة النبوية نسقها الخاص الذي ترتكز عليه لتكون بذلك السمو والإرتقاء والفخر، يقول الرافعي في هذا المنحى" أما اللغة فهي لغة الواضع بالفطرة القوية المستحكمة والمنصرف معها بالإحاطة و الإستيعاب أما البيان فبيان أفصح الناس نشأة وأقومهم مذهبا وأبلغهم من الذكاء والإلهام وأما الحكمة فتلك حكمة النبوة وتبصير الوحي وتأديب الله وأمر في الإنسان من فوق الإنسانية"[4].

[1] – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص261.

[2] – نفس المرجع ،ص 261.

[3] – ينظر: نفس المرجع، ص261.

[4] – نفس المرجع، ص261.

وهذا كله لا تجده في أي كلام من كلام البلغاء من الناس، فإن وجدت تجد الصيغة المحكمة والطبع القوي لكن لا تجد أي سرّ من أسرار البيان وهذا هو ما انفرد به كلامه صلّ الله عليه وسلم، فيجسد البلاغة النبوية على حقيقتها إذ لا تحتمل أي مكان للغرابة و لا للتكليف ولا للتعقيد فهو بذلك يكون بسيطا سهلا وسلسا معبرا حق التعبير، فارتقى إلى أعلى مراتب الكلام ومن الأمثلة الدالة على هذا الكلام قوله صلّ الله عليه وسلم : " **كُلُّ أَرْض بسمَاتهَا**"، "**يَا خَيْلَ الله اركَبي**"،" **لاَ تُنْطَحُ فيهَا عَنْزَانْ** ".

5- خصائص البلاغة النبوية عند الرافعي:

أما إذا انتقلنا إلى هذا الجانب لا يمكننا إغفال النظر عن العلاقة الوطيدة الموجودة بين هاذين العنصرين أي خصائص البلاغة النبوية ونسقها لأنهم يتمحوران حول أسلوبها التعبيري الذي لا طالما اشغل اهتمام وفكر الكثير من العلماء وأبرزهم **مصطفى صادق الرافعي** .

بما أن نسق البلاغة عنده يمتاز في جملة بأنه ليس من شيء أنت بواجده في كلام الفصحاء فهو إذن مرتبط بضروب الفصاحة فيتميز بالإفراد والتمكن وأبرز دليل على ذلك أنه **كلام النبي صلّ الله عليه وسلم** وقد خصه **الرافعي** بثلاث خصائص بارزة وهي الخلوص والإستيفاء، القصد.

1.4. **الخلوص:** ويعني به الإلمام باللغة، والتمكن من استعمالها استعمالا يحق بها فإنه " لم يكن في العرب ولن يكون فيمن بعدهم أبد الدهر من ينفذ في اللغة وأسرارها وضعا وتركيبا ويستعبد اللفظ الحر ويحيط بالعنيف من الكلام ويبلغ من ذلك إلى صميم على ما كان من شأن **النبي صلّ الله عليه وسلم** "[1]فهو بهذا المفهوم عقد ميثاق إتفاق بين اللغة أي النسق والخاصية أو السمة الأولى للبلاغة النبوية وهي الخلوص .

2.4. **القصد:** والمقصود به الكلام الموجز الذي ألفاظه قليلة ومعانيه كثيرة " فالإيجاز هو الإقتصاد على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظه من طبيعة ألفاظ معانيها ومن طبيعة النفس في حظها من الكلام وجهته اللفظية والمعنوية فذلك ما امتازت به البلاغة النبوية "[2].

[1]-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن الكريم، ص271.

[2]- نفس المرجع ، ص 271.

3.4. **الاستيفاء:** المقصود به إعطاء المعنى حقه مع إيجاز في اللفظ فيكون في شكل صورة مركبة تركيبا دقيقا معبرا عن ما يجول في الخاطر من أحاسيس وغيرها فيتسم بصفة التأثير بذات المتلقي"[1].

من خلال عرض الرافعي لهذه الخصائص التي تميز البلاغة النبوية نخلص إلى أنه بفضل هذه الخصائص أصبح أسلوبه صلّ الله عليه وسلم خاليا من التعقيد والتكلف، فبالطبع إتّسم بالبساطة و الوضوح وقمة الجمال في إيصال المعنى الحقيقي دون النزوح إلى صفات كلام البلغاء مثل المجال البعيد الذي يدخل في غالب أمره في مجال الخيال فلا يلتقي بالحقيقة وفنون الصنعة وما إلى ذلك، وهذا من جهة أما من جهة أخرى نجد أن حديثه عن هذه السمات العامة للبلاغة قد عقدت بديهيا مقارنة بحثية عن الفصاحة النبوية، والبلاغة النبوية إذ نجد أن أغلب كلامه أي **الرافعي** عن الفصاحة يتضح في كلام الأدباء السابقين أمثال **الجاحظ(ت:255هـ)** أما البلاغة فهي تستوفي بالضرورة نجاح الخطاب، لأنها تحمل في طياتها شروطه وأساسياته وهي المرسل والمرسل إليه، فهي إذن تؤدي معنى حقيقي يرتكز على الجانب التأثيري في الملتقي عن طريق الوسائل الأسلوبية المستخدمة في الكلام أو الخطاب، فهي عملية تواصل ناجحة وهذا ما انفردت به البلاغة النبوية في مفهومها العام، وما زادها شرفا وعزة أنها أرسلت على لسان خير الخلق نبينا محمد صلّ الله عليه وسلم "ومن الأمثلة الدالة على كل هذا الشرح قوله صلّ الله عليه وسلم في الكثير من المواضع **الدّينُ النَصيحَة**"، "**إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنّيَاتْ**"، "**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبْ**" ،" **الصَّبْرُ عنْدَ الصَّدْمَة الأُوْلى**"، "**الحَلاَلُ بَيّنْ والحَرَامُ بَيّنْ وَ بَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُتَشَابهَات**"[2].

في الأخير لا يفوتنا أن ننوه إلى أن الرافعي أكد على أن البلاغة النبوية أقل درجة من بلاغة القرآن المعجزة، وهذا أمر مسلم به عند الجميع لكنها في الوقت نفسه تعلو على بلاغة البشر، وتبقى البلاغة النبوية خير دليل وبرهان مؤكد على صدق رسالة **الله عز وجل** عن طريق رسوله الكريم صلّ الله عليه وسلم.

[1] – ينظر: مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص272.

[2] – ينظر: نفس المرجع، ص273.

ب.الإشراق البلاغي في عربية النبي ﷺ من منظور الشريف الرضي من خلال كتابه المجازات النبوية:

1.نماذج تطبيقية من بلاغة الجملة عند الشريف الرّضي:

يعد **الشريف الرضي** من بين العلماء القدامى الذين انبهروا ببلاغة النبي صلّ الله عليه وسلم وفصاحته، وكيفية تنسيقه للألفاظ والعبارات التي تعمل على إنشاء صور جمالية راقية، فهي بالذات المحور الرئيس الذي جعل العلماء والدارسين يقبلون إلى العناية بها ، وقد وضح الشريف الرضي جمال تلك الصور التركيبية من خلال تفسيراته لأحاديث النبي صلّ الله عليه وسلم، في كتابه المجازات النبوية نذكر من بينها :

1- يقول صلّ الله عليه وسلم :" **إِذَا أَرَادَ اللهُ بعَبْد خَيْرًا عَسَّلَهْ" قيل له يا رسول الله ، وما عسله؟** قال: " **يَفْتَحُ لَهُ بَيْنَ يَديّ مَوْتهْ عَمَلاً صَالحًا يُرْضي حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مَنْ حَوْلهْ**" في هذا الكلام مجازان:

الأولى قوله صلى الله عليه وسلم" عسّله" وهو مأخوذ من العسل كما يقال " **عسّلت الطعام**" أي جعلت فيه عسلا " وملحت الطعام" أي جعلت فيه ملحا وتبّلته أي وضعت فيه التوابل وما إلى ذلك ومعنى عسلته في الحديث أنه جعل عمله حلوا يمدحه الصالحون ويقبله المتقون فيكون بمثابة الشيء المعسول الحلو المذاق الذي يستساغ وقت الترفيه ويتلذذ به في المذاق .

أما الثاني قوله صلّ الله عليه وسلم :" **بَيْنَ يَديْ مَوْتهْ** " فالموت في الحقيقة لا يملك يد فهي كناية عن الشيء الواقع أمام الشيء المتوقع فالمراد باليد هنا هو تقريب الشيء وتقديمه من الإنسان حتى يشعر به كأنه أمامه مباشرة.[1].

وهذا إن دلّ إنما يدل على فطنة النبي صلّ الله عليه وسلم ودهائه في اختيار الألفاظ المناسبة للتعبير ففي الحديث جعل كلمة العسل تدل في معناها البعيد عن العمل الصالح فأبدل هذه الأخيرة بالعسل

---

[1]- ينظر:« قد وردت ترجمته في كتب التّراجيم والرّجال بعناوين مختلفة وألقاب متعددة، كلها اتفقت على لقب الشّريف الرّضي» :قال المحقق الخونساري في ترجمته:« العالم العفيف، والعلم الغطريف ،والعلم العريف، والعنصر الشريف والسيد الشريف والأيّد المنيف؛ أبو الحسن محمد ابن السيد النقيب والنجيب المحترم أبي أحمد حسين ابن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق إمام الأمم ، أخو سيدنا المرتضى علم الهدى، والملقب بالسيد الرّضي عند الأحبة والعدى .

ولد السيد محمد بن حسين الشريف الرضي سنة 359هـ وتوفي سنة 06 محرم سنة 406هـ ودفن بمحلة الكرخ في بغداد ، المجازات النبوية تصحيح مهدي هوشمند، ط1، مكتبة لسان العرب، 1422هـ، ص37-38.

ومعلوم أن العسل لا تنتهي صلاحيته، وكذلك العمل الصالح يبقى قائما وحتى بعد موت صاحبه لأجيال وأجيال، وهذا بالضبط موطن البلاغة النبوية.

2- ومن ذلك قوله صلّ الله عليه وسلم : " **اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ منَ اليَد السُّفْلَى** " وهذا "القول في مجمل معناه مجاز، لأنه عليه الصلاة والسلام يقصد باليد العليا يد المعطي واليد السفلى يد المستعطي فلم يقصد في الحقيقة أنه يوجد عليا وسفلى بل أراد أن المعطي في الرتبة فوق الآخذ بمعنى أن المعطي يكون أعلى رتبة على الآخذ لأنه المنيل المفضل وهذا ليس في معطي الحق إنما في معطي الرفد أي المعطي والآخذ والمراد من هذا كله ليس أنه خير في الدين بل خير في النفع للسائلين"[1].

وفي نفس الصدد يقول صلّ الله عليه وسلم" **المُسْلمُونَ تَتَكَافَئُ دمَائُهُمْ وَيَسْعَى بذمّتَهمْ أَدْنَاهُمْ ويَرُدُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سَوّاُهُمْ**" فقوله **عليه الصلاة والسلام** وهم يد على من سواهم " تحتمل الإستعارة و المجاز لذلك وجهان:

-**الأول** أنه شبه المسلمين في اجتماعهم وتعاونهم باليد الواحدة التي لا تتخالف مع بعضها البعض في الفتح والضّم أو العمل والسعي ، فقد سمي أعوان الرجل وأنصاره باليد نسبة إلى العمل الذي يقوم به بواسطة، اليد عل سبيل الإتساع والإحاطة بالمعنى فمن خلال اليد ينتصر ويدافع الإنسان عن حقه.

- **أما الثاني** فقد شبه اليد بالقوة كأنه **يقول** صلّ الله عليه وسلم : " **وُهُوَ قوَّة عَلَى مَنْ سوَاهُمْ**" فلفظة القوة من بين الألفاظ التي تحمل في طياتها معنى اليد لأن ذلك هو موطن القوة (اليد).

3-أما في حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام: " **عَلَيْكُمْ بالجَمَاعَة فَإنّ يَدُ الله عَلَى الفُسطاط**" فالمراد باليد هنا أمان وحفظ الله ورعايته لعبده بمعنى أنه حافظ لهم وأمنه عليهم كأن يقال : أمري في يد الله.

-والفسطاط هنا هو البيان ومنه سمي بالفسطاط مصر كأنه عليه الصلاة والسلام أمرهم بالتزام الجماعة والإبتعاد عن التشتت والإفتراق ولم يرد أن خارج عن مصر خارج عن قبضة الله بل خارج عن

[1]- محمد بن حسن الشريف الرضي ، المجازات النبوية ، ص50.

حفظه ورعايته فهو بذلك يدعو إلى المكوث في الأمصار لأنها أكثر الأماكن تجمعا والأمر في الحقيقة هو لزوم الجماعة ولو كان في أكناف الفيافي ومطارح البداوي"[1].

– نستخلص من خلال ما سبق ذكره أن لفظ يد تغير مدلولها الحقيقي من حديث لآخر، ففي الأول تعني شدة تقريب الشيء من صاحبه، أما في الثاني جاءت بمعنى يد المعطي والثالث وردت بمعنى القوة والإتحاد، أما الأخير تعني فيه إعانة الله وحفظه لعبده، وهذا التفسير أدل دليل على دقة اختياره صلّ الله عليه وسلم لاستعمالات الألفاظ ومدلولاتها الحقيقية التي تقربها إلى نفس المتلقي أو السامع .

4- ***قال صلّ الله عليه وسلم*** :" **إِنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا**" وهذا الكلام من روائع الإستعارات ومحاسن المجازات لأنه عليه الصلاة والسلام جعل من الإسلام غريبا في أول ظهوره حيث قاموا بتشبيهه بالرجل الغريب عن دياره ووطنه، لأن الإسلام تميز بهذه الميزة حينما رفع رايته الأولى ثم تفرعت جذوره بوضع قواعده الأساسية إضافة لاشتداد معاقده وتوافد وكثرة مؤيديه ومناصريه.

– فقد قال عليه الصلاة والسلام :" **سيعود غريبا**" أي يرجع إلى حالته السابقة قليل الأعوان والناشرين له ، وذلك يعود لانحطاط أمته وإتباعها وتقليدهم للنصارى واليهود ظنا منهم أن ذلك من أسمى وازدهار مجتمعهم وانغماسهم في شهوات الدنيا ومحرماتها والعياذ بالله مع زوال سمات الإسلام وتدنيس لآياته.

–في الحديث النبوي كلام عذب وقيم عن الإسلام صريح العبارات ذو ألفاظ سهلة و بسيطة عند جميع الخلق تمتاز بالدقة في اختياره للمفردات فكلامه، إذن في منتهى الرفعة حسن اللفظ منزّه عن أي قباحة أو تعقيد ألبسه النبي صلّ الله عليه وسلم ثوب البلاغة في إتيانه بالكلمات كأن لسانه بحر بلاغي و أسلوب راقي تدق له آذان سامعه وترفع له راية تبجيل واحترام.

5- ومن ذلك قوله صلّ الله عليه وسلم **في ذكر الخوارج** :" **يَمْرُقُونَ منَ الدّين كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ منَ الرُمْيَة ...قَوْلُهُ قَدْ سَبَقَ الفُرْثَ وَالدَّمْ** " وفي هذا الحديث مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام شبه كيفية دخول الخوارج وخروجهم من الدين بسرعة كسرعة مرور السهم من الرمية ، من غير أن يتشبثوا

[1]– ينظر: محمد بن حسن الشريف الرضي ، المجازات النبوية ، ص33– 34.

بدينهم وعقيدتهم أو يعيقوا بطينتهم بالسهم الذي أصاب الهدف وهي الطريدة المرمية ثم خرج مسرعا من جسدها ولم يلتصق بأي شيء من الفرث والدم وتلك هي سمات السهم الصائب لأنه لا يكون أكثر سرعة إلا إذا كان قوي النزعة "[1].

6- قال صلّ الله عليه وسلم :" **مَنْ لبَسَ في الدُّنْيَا ثَوبَ شُهْرَة أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلّة**" وهذه استعارة والمراد بها أن الله عز وجل يشمل صاحب المذلة حتى تغطيه من كل الجهات كما يغطي الثوب جسم لابسه فيكون بذلك سادا لخلله ومغطيا لفرجه والمقصود بالمذلة أن **الله سبحانه و تعالى** يُحقّر صاحبها في قلوب الآخرين ويجعله صغير الشأن في أعينهم فيصبح بدون قدر ولا قيمة أما ثوب المذلة في الآخرة هو حرمانه الثواب والمغفرة ويسلط عليه أقصى العذاب.

7- ومن ذلك قوله صلّ الله عليه وسلم: وقد جاء رجل بامرأته يشكو خلقها فأخذ عليه الصلاة والسلام برأسيهما وقال :" **اللّهُمَ أَرّ بَيْنَهُمَا**" وفي هذا القول إستعارة جزئية قوية والمراد بها قوله :" اللهم قرب بينهما" أو " اللهم اجمع بينهما" أو" لائم بين خلقهما" فكلمة "أرّ" مأخوذة من الأري وهي الأخية التي تربط الدّابة إليها فكان عليه الصلاة والسلام يدعو الله لهما أن يكونا كالدّابتين على الأري في الملازمة والتقرب وعدم الإبتعاد والإفتراق.

كما يجوز أن يكون ذلك مأخوذ من قوله " أريت العقدة " بمعنى شددتها وتمسكت بعقدتها كأنه دعا لهما الله أن يطرح بينهما عقد الود والرحمة فتكون بذلك أخلاقهم متوافقة و أحوالهم منتظمة يعمرها التفاهم والمحبة.

ويجوز أيضا أن يكون ذلك مأخوذ من قوله "أرى فلان بالمكان" إذ إهتم به كأن عليه الصلاة والسلام دعا لهما الله أن يثبتهما على حسن المعاملة والألفة والمودة"[2].

8- قال صلّ الله عليه وسلم:" **أَنَّ منْ أَشْرُط السَّاعَة سُوءُ الجوَار وَقَطيعَةُ الأَرْحَام وَأَنَ يُعَطَّلَ السَّيْفُ منَ الجهَاد و أَنْ تَخْتَلَّ الدّنْيَا بالدّينْ**" فالكلمة الأخيرة داخلة في المجاز والمراد بها النهي عن طلب منافع

[1]- ينظر: الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص 46-47.

[2]- الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص186-187.

الدّنيا والتّخلي عنها بإظهار الوزع وإخفاء الطمع فكان الإنسان يترك الدنيا ليرمي ثغرها ويصيب عزتها كالصائب الذي يختل وذلك من قوله صلّ الله عليه وسلم في كلام طويل :" **وَلاَ تَتَكَلّمْ اليَوْمَ بكَلاَم تَعْتَذرْ منْهُ غَدًا وَأَخْزَنْ لسَانَك"** وهذه استعارة واضحة يقصد بخزن اللسان المحافظة على زلاته والإمتناع عن الأذية حتى لا يصل إلى نتائج وخيمة فلا تؤمن عاقبته وقد وضح عليه الصلاة والسلام كيفية ضبط اللسان وذلك من خلال خزنه فشبهه بالمال الذي يحفظ ولا ينفق إلا في المضرة والأمور التافهة والمفسدة فلا يكون بذلك إنفاقه إلا في المنفعة ودفع المضرة"[1]

9- قال صلّ الله عليه وسلم :" **الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاْت كَمَا تَأْكُلُ النَّارْ الحَطَبْ"** وهذه من أجمل الإستعارات المعبرة فكان المراد بها أن الحسد يذهب بصاحبه إلى الإقبال على فعل الأعمال الدنيئة والسيئة كالمعاصي والمحرمات فتكب به في الهاوية فيتلذذ في ركوب طنابير الآثام والسيئات فتكون نتائج هذه الأعمال عسيرة محبطة لحسناته ومذهبة لثواب طاعته كأنه يأكل هذه الحسنات بفعل هذه الأعمال المريرة بسبب صفة الحسد.

فقد شبه عليه الصلاة والسلام أكل الحسنات بالنار التي تأكل الحطب، لأن الحسد يسري في قلب صاحبه مسرى النار في الحطب في اتقادها وإحراقها .

10- ومن ذلك قوله صلّ الله عليه وسلم في عهد كتبه لعماله على اليمن :" **فَإنَّ هَذَا القُرْآنَ حَبْلُ الله المَتينْ، فيه إقَامَةُ العَدْل، ويَنَابيعُ العلْم ، وَرَبيعُ القُلُوب** " وقد شبه القرآن بالحبل الممدود والموصول بين الله تعالى وعباده فإنه عصمة المستعصمين وهذه الإستعارة الأولى التي تجسدت في **قوله تعالى** :" **هَذَا القرآن حبل الله المتين"** أما الإستعارة الثانية في قوله صلّ الله عليه وسلم :" **يَنَابيعُ العلْم"** فقد شبه ما يطرحه وما يفتحه القرآن لمتدبريه ومتفهميه، وما يبينه لهم وما يفتحه لهم من أبواب العلم وطرقه، لأن العلم يبعد صاحبه عن الشك المحير، كما يبرد الماء ظمأ العطش لذلك شبهه عليه الصلاة والسلام بعيون الماء وينابيع الرواء أما بالنسبة للإستعارة الثالثة في قوله :" ربيع القلوب" وذلك لأنه جعل القرآن بمثابة الربيع

[1]- الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص186-187.

المزهر للقلوب المنتفعة به والواعية بمنزلته كما تنتفع الإبل بتحمض الربيع وتنقله فهو غذاء الروح والقلب قبل الجسد.

كما قد يجوز أن المقصود بالقلوب، أنها تنفرج بحكم القرآن وآدابه كما تتفتح الأعين بمشارق نور الربيع واخضرار أعشابه ولطافة جوّه، فالربيع في الأصل إسم للغيث كما سمي الغيث سماء، لأن نزوله يكون من جهة السماء والربيع كذلك النهر الصغير إلى غير ذلك"[1].

11- قال صلّ الله عليه وسلم:" **مَفَاتيحُ الجَّنَة لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّه** " وهذه استعارة وجيزة والمراد بها أن هذا القول " **لا إله إلا الله**" يُدخل الجنة فجعله عليه الصلاة والسلام بمثابة المفتاح الذي يستخدم لفتح الباب وغلقه وأراد بهذه الكلمة (**لا إله إلا الله**) وما يتبعها من شعائر وأسس الإسلام وضوابطه فهو بذلك اختصر كل هذا في كلمة مفتاح لأنه الأولى بذلك من خلال الغرض الذي يستعمل له "[2] .

12- ي**قول صلّ الله عليه وسلم :" وَأَيُّ دَاء أَوْدى منَ البُخْل ؟**" ففي هذا القول مجاز لأن البخل على سبيل الحقيقة ليس بداء إنما لما كان صفة مكروهة وخليقة مذمومة نحى منحى الداء الذي يذهب الصحة إلا أنه اتصف بصفة الداء لأنه يمكن لصاحبه العلاج والشفاء منه ومجاهدة النفس والإقلاع عنه ومفارقته لأنه لو لم يكن كذلك لما استطاع التعبير عنه بذلك، والبخل في الحقيقة منع الواجب والتخلي عنه وكل من اتصف بذلك سمي بخيلا ومنع التفصيل لا يوصف، بذلك إلا على سبيل المجاز وكل ما ورد في القرآن الكريم عن البخل إنما يراد به منع الواجب وما يتصف بالإنفاق ويراد به إخراج المال في الواجب"[3].

13- قال عليه الصلاة والسلام :" **لاَ تَقُومُ السَّاعَة حَتَّى يَكْثُرَ المَالَ وَيفيضَ إلىَ أَنَ يَخْرُجَ الرَّجُلْ بزَكَاة مَاله فلَا يَجدَ أَحَدًا يَقْبَلَهَا منْهُ**" ففي قوله عليه الصلاة والسلام " **حَتَّى يَكْثُرَ المَالُ ويَفيضَ**" إستعارة كأنه في هذا المقام شبه المال في كثرته بالماء في غزارته الذي يفيض من قوته وكثرته ومثل هذا الخبر ما روي من قوله صلّ الله عليه وسلم في خبر آخر :" **رُبَّ مَنْحُوض في مَال الله وَرَسُوله فيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ لَهُ النَّارَ**

[1]- ينظر، الشريف الرضي، المجازات النبوية ، ص 210-212.

[2]- ينظر: نفس المرجع، ص215.

[3]- ينظر : نفس المرجع، ص385.

يَوْمَ القيَّامَة " كأنّ الرسول جعل كثرة الأموال عند هذا الإنسان بمثابة الجمة الطافحة أو كثرة الكثير وجعل إنفاقه منه كمنزلة الخواص في الجمام الغزار "[1].

14- قال صلّ الله عليه وسلم:" **مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمّهْ وَ سَدَمَهْ جَعَلَ اللهُ الفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْه** " في هذا الكلام مجاز والمقصود به أن من أعطى الدنيا فوق قيمتها الحقيقية وجعلها نصب عينيه فنسى آخرته وأقبل على تكديس الأموال وتكبير الأحوال والفتك في الأعراض والآثام عن صالح الأحوال وفعل الخيرات عاقبه الله وذلك من خلال الزيادة في فقر النفس ومذلتها فلا تنفعه الأموال لأنه يتعامل معها بحرص الفقراء وهو معه مال الأغنياء خوفا من الوقوع في الفقر وهو يفتقر لأمس حاجة في الحياة و هي فقر النفس أي القناعة.

وقوله صلى الله عليه وسلم :" **جَعَلَ اللهُ الفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيه**" فهي عبارة عن مبالغة في وصف تصور الفقر كأنه قريب منه كأن يقال حاجتك بين عينيك بمعنى أنها في القلب ومتصورة بين عينيه"[2].

15- قال صلّ الله عليه وسلم :" **المُجَاهدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ**" وهذا الكلام ويحتوي على مجاز يراد به امتناع الشخص عن الوقوع في الشهوات و المعاصي المدنسة لأخلاقه فجعله **عليه الصلاة والسلام** بمثابة النزال الذي يكون بين الإنسان وعدوه أي نفسه وما ينتابه من مشقة ومغالبة في النزال مع قلبه وتستدعيه النفس لأن أعظم الجهاد هو جهاد النفس التي تحل محل العدو الأول للإنسان الصالح الذي يتقي الله عز وجل.

16- قال عليه الصلاة والسلام :" **وَالنسَاءُ حَبَائلُ الشَّيْطَانْ**" وهذه تعدّ من أحسن الإستعارات، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل النساء من أقوى ما يطيح ويصيد بها الشيطان الرجال فشبههنّ بالحبائل المبثوثة المبسوطة لأنهن مظان الشهوات وسبلها فبهن يستخف ويضعف الرّكين الثابت ويقع في الهفوات والأخطاء والمعاصي ويصاب الأمين بصفة الخيانة.

17- وفي موضع آخر يقول عليه الصلاة والسلام :" **حُفَّتْ الجَّنَةُ بالمَكَارهْ وَحُفَّتْ النَّارُ بالشَّهَوَاتْ**" وهذا القول عبارة عن مجاز يقصد به كل الأعمال والأفعال التي تدخل إلى الجنة يتخلّلها نوع من الكره و

[1]- ينظر: الشريف الرضي، المجازات النبوية ، ص 368-369.

[2]- ينظر: نفس المرجع، ص 123-124.

المشقة لأن كل فعل فيه مشقة ينفر منه الناس فهم بطبيعتهم يحبون السّهل والبسيط وسبيل الجنة لا يتسم إلا بالمشقة والعمل والوعر فكانت بمثابة المسالك الصعبة على سالكها لذلك قيل الجنة حفّت بالمكاره على سبيل المجاز وحسن الدّقة والتعبير أما الأفعال والأعمال الممتعة البسيطة وكل ما يتّصف بذلك كان بمثابة المنهل إلى دخول النار فلا تأتي عن طريق المشقة ولا يقرع لها باب من الكلفة لذلك قيل أن النار حفت بالشهوات على سبيل المجاز والإتساع في المعنى الحقيقي"[1].

18- يقول عليه الصلاة والسلام في موضوع آخر : **وَالشّبَابُ شُعْبَةُ الجُنُونْ"** وهذا القول مجاز يقصد به أن مرحلة الشباب أكثر ما يغلب عليها القبيح من الحسن فيكون بمثابة العذر عن المهالك والتي تشبه السكران من الخمر فقد قيل سُكر الشباب كسكر الشراب في هذه المرحلة يتّصف الشباب بالنشاط و عدم الثبوت في التفكير لذلك كثيرا ما يشوبهم الخطأ وتتخلّله المعاصي والإستهتار وهذا لا ينفي أن هناك من الشباب من يكون صالحا ثابتا تقيا ملتزما بكلام **الله عز وجل** لكن تبقى الأغلبية هي الجزء الغالب أكثر"[2].

إستنادا إلى كل ما سبق وما قدمه **الشريف الرضي(ت:406هـ)** في كتابه **المجازات النبوية** نستخلص:

-أن الشريف الرضي اهتم في كتابه اهتماما بالغا بالأحاديث النبوية الموجزة التي تحمل في طياتها معاني واسعة داخل مدلولها الحقيقي، فكانت بمثابة تحديد لمواضع المجاز إضافة إلى وجود نوع آخر، يعد من أجمل وأرقى الصور البيانية وهي الإستعارة، وهذا ما اتصفت به تحليلاته وتفسيراته التي امتازت بالدقة والكفاءة في تقريب المعنى الحقيقي لمن أراد التمعن والولوج إلى هذا الباب .

-جمعت أحاديثه ﷺ كل صنوف البلاغة، و أشكال الجمال والفصاحة، من خلال أدق العبارات والكلمات المطروحة في التعبير فأبانت عن المنبع العذب الذي نهلت منه وهذا ما جعلها تتربع عرش وقمة الأساليب البشرية التي لم يأتي بها أحد من البشر قط.

[1]- ينظر: الشريف الرضي، المجازات النبوية ، ص349.

[2]- نفس المرجع، ص195.

2.التّرقي اللغوي لعربية النبي من خلال المدونتين:

يعد كلام النبي صلّ الله عليه وسلم، **أجّل** كلام بعد كلام الله سبحانه وتعالى، وسنته عليه الصلاة والسلام التي هي المصدر الثّاني للتشريع، فقد جاءت مفسرة لما ورد في القرآن الكريم من أحكام وضوابط وآداب إلى غير ذلك، والجدير بالذكر أنّ كلّ هذا جاء على لسان أفصح الخلق وأبلغهم، في أرقى وأبهى الصّور التي تحمل في طياتها القليل من الألفاظ والكثير من المعاني، وهذا ما اجتمعت فيه أسرار كل من الإعجاز والبلاغة وسحر البيان.

وقد انفردت بلاغة الجملة النبوية عن كلام العرب بمجموعة من المميزات والصفات التي جعلتها تسمو وترتقي بمكانتها، فاتّسم أسلوبه عليه الصلاة والسلام بالدّقة في المعنى والبعد عن التكلف والتعقيد واتساع في النظر إلى بعد المعنى الحقيقي للجملة أو الكلم، وهذا إن دلّ إنما يدل على فطنته ودهائه وراجحيّة عقله وقوة في الأسلوب والتفكير وقدرته على التأثير والإقناع.

فإذا قارنا فكر ﷺ بفكر غيره من أفاضلة أقوام الجزيرة العربية، فإننا نجد كل واحد منهم يصف مشاعر وأحاسيس الآخرين بما تجاريه مجريات الأحداث ، بينما فكره عليه الصلاة والسلام يعلو بالأفكار والقيم الإنسانية، بحيث يرفع الفكر العربي الإنساني من دناءة الإنحطاط إلى قمة الرّفعة والتعظيم في الأدب بحيث يقوم بتبليغ المعنى بطريقة سلسلة وسهلة بسيطة يفهمها جميع الأقوام فيخاطب بها جلّ العقول بإختلاف مستوياتهم الفكرية دون إسهاب وتعقيد وإلتفاف في المعنى وهذه الصفات كلها التي تتّصف بها بلاغته لابد من أن تكون لها أسباب من بينها:

-"نشأته صلّ الله عليه وسلم، و قد تزعزع وتقلّب في أفصح القبائل، كذلك هي توفيق من الله عز وجل وإلهامه له، وقد علّمه الله عز وجل ما لم يكن يعلم فلا يعيا بقوم إذا بادروه، ولا يُحصر إن سألوه ويحدّثهم كما لو أنه منهم لتقوم به الحجة، ويتضح برهان رسالته، وتكون بلاغته ميزة له عن سائر العرب، أمّا السبب الثالث يتّضح في قوة فطرته واستمرارها وتمكنها وقد كان عليه الصلاة والسلام يصرف اللغة

ويديرها وهذه الصفات لا تكون في أهل الفطرة عن مزاولة ومعاناة بل تعين عليها النّفس المجتمعة والذّهن الوقّاد و البصيرة النّافذة وليس العرب في من جمع هذه الصفات غير رسول الله ﷺ "[1].

ولعلّ من أبرز دلائل نبوّته أنه أوتي " جَوَامعَ الكَلمْ" وهذه ميزة لم يعطيها الله لأحد قبل النبي ولا بعده يقول صلّ الله عليه وسلم :" **أُوتيتُ جَوَامعَ الكَلمْ واخْتُصرَ الكَلاَمُ لي اخْتصَارًا**" وفي رواية أخرى " **أُعْطيتُ جَوَامعَ الكَلمْ**" وهذه الأخيرة تعني أن الله عز وجل منح وجمع له المعاني الكثيرة والواسعة في ألفاظ قليلة لذلك نجد الجملة النّبوية تتميز بعدد محدود من المفردات والكلمات، لكن رغم ذلك فهي تحمل كم لا محدود له من الأحكام والمواعظ والتوجيهات وغيرها، وهذا لا يا يكون إلاّ عند رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وهذا ما يدخل في باب الإعجاز والقوة والتحدي يقول **الرّافعي** في هذا الصدد:" وكان يتحدث في ذلك بنعمة الله عليه فما هو اكتساب ولا تمرين ولا هو أثر من أثرهما في التفكير والإعتبار، ولا هو غاية من غايات هذين في الصيغة والوضع، إنّما هو (إعطاء وإيتاء) فمن لم يعط لم يأخذ، ومن لم يأخذ لم يكن له ذلك كائن ولم تنفعه منه نافعة".[2]

" واجتماع هذه الثلاث في كلامه صلّ الله عليه وسلم، يعدّ بمثابة بناء لبعضه البعض فتكون سلّما من كلام عظيم يخلوه التّعقيد والتزييف وما شابه ذلك مثل ما هو موجود في باب المجاز الذي يغلب عليه الغوص في أعماق الخيال وفنون في الصّنعة وما هو منتشر في كلام البلغاء، لذلك امتازت البلاغة النبوية بهذا النوع من الكلم الجامعة التي هي موعظة البلاغة وحكمتها"[3] ومن ذلك فإن اختصار الكلام يؤدي بالضرورة إلى السهولة في حفظ الأحاديث النبوية والتعمق فيها واستخراج أحكامها، ومن أمثلة ذلك جوامع الكلم **قوله** ﷺ :" **الدّينُ النَصيحَةُ**"،" **المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبّ** ،" **الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُوْلَى**" كذلك من الأمثلة ما فعله الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حين قال أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: **حديث عمر**"

---

[1]- ينظر، مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، ط9، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ، ص284-285.

[2]- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، راجعه درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2003م، ص272م.

[3]- ينظر: نفس المرجع، ص 272.

إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتْ" وحديث عائشة رضي الله عنها " **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رِدٌّ"** وحديث النعمان بن بشير " **الحَلاَلُ بَيّنْ وَالحَرَامُ بيّن"** فكل تلك الأحاديث السابقة تلخص لنا جزءا شاملا من الإسلام بشكل جميل جذاب، حتى يتبادر لك كأنك قرأت الإسلام جلّه إذا قرأتهم، وفي نفس الصدد فقد ورد عن الرّافعي :" إلى مالا يحصيه العد من كلامه صلّ الله عليه وسلم ولو ذهبنا نشرحه لنبينا على كل كلمة مقالة، وهذا الضّرب هو الذي عناه أكثم بن صيفي حكيم العرب في تعريف البلاغة إذ عرّفها بأنها : دنوّ المأخذ ، وقرع الحجّة، وقليل من كثير ، وهي صفات متى أصابها البليغ وأحكمها وضع عن نفسه في البلاغة مؤنة ما سواها ، و لكن إن أصابها وأحكمها"[1].

إذن فقد تألّقت وتميزت بلاغة الجملة النبوية في حديث رسول الله ﷺ بصفة بارزة جعلتها تعلو عن باقي كلام العرب ألا وهي كما يقال عنها " **كُلَّ مَا قلَّ دَلَّ"** فكانت معظم أحاديثه موجزة وقليلة الألفاظ والعبارات، لكنها تحمل الكثير من المعاني والقواعد فإذا نظرت إليها من الجانب اللغوي رأيتها بحرا من القواعد الصّرفية والنّحوية، أما إذا نظرت إليها من الجانب التركيبي رأيتها بنيانا متراصّة وإذا إلتفت إلى شكلها الخارجي الجمالي رأيتها حقلا من اللؤلؤ اللّماع، وهذا أقلّ ما يقال عنها، ونظرا لكل هذا فمن البديهي أن يبالغ **الرّافعي** في اهتمامه ودفاعه عنها، لأنه يبدو واضحا في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، كما أشار كذلك الدّارسون إلى سبب آخر وهو " دخول تيار جديد جريء إلى الواقع الذي يعيش الرّافعي فيه، والذي يتمثل في مهاجمة الإسلام والعربية فكان يلتزم بذلك مبدأ الثبوت الفكري ورأى أنه فرض من الفروض الملزمة لا يستطيع(أحدًا) أن يقوم به أحد مقامه"[2].

فقد ذُكر أنّه كان حريصا على الإتصال بحديث النبي ﷺ كل يوم مرات عديدة ليحقق في نفسه روح الإسلام، وكان متأثرا حق التّأثير بشخصيته ومعجبا ببلاغته وبيانه ويتضّح ذلك من خلال حديثه عن سيرته وصفاته وكيفية مجيئه، فقد حاول **الرّافعي** توظيف معرفته الفكرية والأدبية بالموروث القديم في البيان

[1]- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص273.

[2]- بن عيسى بطاهر، البلاغة النبوي في منظور الرافعي: قراءة في المنهج، م ج 16، العدد32، 1434هـ-2012، ص 78.

والتأصل النظري للخصائص المميزة للحديث النبوي الشريف، وبيان ما حفل به من المعاني النبوية الشريفة التي هي نتاج الحكمة والنبوة"[1] .

فالمتتبع لمؤلفاته المختلفة لا يفوته رُؤيت مدى الحضور القوي للكلم النبوي داخل نفسيته وشعوره فكان دائم التأمل فيه، منبها على أهميته العظيمة في صلاح البشرية فقد ورد عنه :" تركت الكلام النبوي يتكلم في نفسي، ويلهمني ما أفصح به عنه فلكأنّي به يقول في صفة نفسه إنّي أصنع أمة لها تاريخ الأرض من بعد" [2] .

وكل هذا الإهتمام بهذا الموضوع راجع إلى الحديث النبوي الشريف ومكانته البارزة والراقية في البلاغة العربية، والذي يحمل في جوفه عناصر الحكمة متفوقا بها على كلام العرب، ناهيك عن جمال بلاغة الجملة النبوية وصنعتها المحكمة وطبعها القوي ولفظها الأنيق الذي تتزاحم فيه جميع الأسرار اللغوية.

ومن جانب آخر نجد مدونة **الشريف الرضي**(ت: 406هـ) الموسومة بعنوان المجازات النبوية التي جمع فيها جملة من أحاديث النبي ﷺ ، التي احتوت على مجموعة من الألفاظ اللغوية البسيطة وأساليب بلاغية عالية الدّقة والجمال، لخصت في مجملها التشبيه والكناية والإستعارة و المجاز على حدّ سواء، فهو يعد من النقاد الخبراء والبلغاء الأذكياء الذي سوَّى بين رقة الإحساس ودقة الملاحظة .

وبما أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، فقد أصبح الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثّاني للتشريع وسنّ القواعد والضوابط الدّينية، ومن هذا المنطلق بات كلامه صلّ الله عليه وسلم في الأحاديث النبوية المركز النّحوي والبلاغي، الذي تستنبط منه القواعد وهذا هو الرأي السائد عند أغلب العلماء، إذ أنهم جاؤوا مؤكدين على أن كلام النبوة دون كلام الخالق، فهو بذلك أعلى على كلام الفصحاء العرب إذ يحتوي على جوامع الكلم وإعجاز البلاغة والفصاحة، فعدّ من أفصح العرب"[3] يقول **الجاحظ** في وصف كلام النبي ﷺ:" هو الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلّ عن الصنعة ونزه عن التكلف" وهذا ما إهتم به **الشريف الرضي**، وجعل هدفه الأساسي في كتابه هذا إبراز قيمة الكلام النبوي

[1] – بن عيسى بطاهر، البلاغة النبوي في منظور الرافعي ، ص80.

[2] – ينظر: مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ص128.

[3] – ينظر: حسين الشريف الرضي، المجازات النبوية ، ص07.

سواء كان على الصعيد الجمالي والفني، أو على الصعيد اللغوي التركيبي، فكان له الجهد الجبار في ذلك فاتضح كل هذا في مختلف ملاحظاته الدقيقة المضبوطة لتحليل كلامه عليه الصلاة والسلام وإجلاء المعنى البعيد و الحقيقي له، والمتمعن في ذلك يرى أنه وفق حقّ التوفيق وهذا راجع إلى سير السليقة العربية في دمائه والذوق الأدبي، وإن قيل عنه إنما يقال عنه أنه بحر محيط باللغة العربية.

وبناء على كل ما سبق ذكره نستخلص أن:

– خصّ الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بمجموعة من الخصائص لم يعطيها لأحد من خلقه، ومن بين أهمها أنه أوتي جوامع الكلم؛ بمعنى أنه أوتي بألفاظ قليلة ومعاني كثيرة، فعدّ ذلك من أجل الأدلة على نبوته ﷺ يعد الحديث النبوي من أبرز المعجزات بعد القرآن الكريم التي تحدّى بها الله سبحانه و تعالى أصحاب السليقة العربية فهو يحمل في فحواه مختلف علوم العربية، و القيّم الإنسانية التي تعين صاحبها على السّير في الحياة وفق ما أمرنا به الله عزّ وجلّ ونبيه.

– وقد حظيت أحاديثه صلّ الله عليه وسلم بمكانة عالية ومنزلة راقية في حياة المسلمين لأنها كانت ولا تزال بمثابة المنبع الذي استسقى منه المسلمون دينهم وشرعهم وسنّتهم فاتخذوه بذلك طريقا يسلكهم الى الله عز وجل كما استسقى منه العلماء الفكر والمعرفة واللغة والأدب فكان لهم مثل المنهج الصحيح وأصبح بلا منازع محطة جدب للعديد من العلماء الدّارسين فعملوا على التمعن والتّعمق في دلائله وتحليل وتفسير مصطلحاته التي لا طالما اتّسمت بالوضوح "والسلاسة والبساطة في مفرداتها وجمالية وبعد معانيه الحقيقية التي تفتح لك الأبواب على القيم الإنسانية وتهذيب في النفوس البشرية وتقويم للألسنة، فاندفعوا بذلك يؤلفون فيها ويبينون مختلف ضروب البلاغة و غريب اللّغة وألوان البيان، وأصناف البديع ومن بينهم **مصطفى صادق الرافعي** الذي تأثّر أشد التأثير بكلامه صلّ الله عليه وسلم"[1]، فألف كتابه **إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية**، إضافة إلى **الشريف الرضي** الذي ألف كتابه **المجازات النبوية**.

[1] – ينظر: بن عيسى بطاهر، البلاغة النبوي في منظور الرافعي، ص58.

– يعد كتاب **المجازات النبوية** لصاحبه **الشريف الرّضي** من أبرز الكتب القديمة ذات المكانة القيّمة الذي ألف في الحديث النبوي، فسلك في كتابه هذا منهج الإختصار فكان عنوانه أدّل دليل على ذلك فلخص في مجمله مختلف ضروب البلاغة وخاصة منها المجاز والإستعارة من خلال تناوله (363) حديثا نبويا فكانت مجموعة من الإختيارات التي اشتملت على تطبيق لعلم البلاغة وتحقيق لغوي دقيق يخص معظمه في بدائع المجاز ومحاسن الإستعارات كما سبق ذكره.

– ثم جاء **مصطفى صادق الرافعي** "الذي يعد رائد من رواد دراسة البلاغة النبوية، فقد عمل على التعبير عنها بطريقة أدبية محضة يصف فيها طبعه الخاص ففتح بذلك المجال للعديد من الدّارسين الآخرين للدخول إلى هذا الباب والبحث في بلاغة **الرسول صلّ الله عليه وسلم**، وإبراز قيمتها الحقيقية لتكون مدرسة للأجيال الناشئة، وبدا واضحا اهتمام **مصطفى صادق الرافعي** البالغ بالبلاغة النبوية أو الكلم النبوي خاصة أو الموروث العربي القديم عامة، وذلك لأنه شهد في عصره مجموعة من التيارات الفكرية المعادية لهذا الموروث فكان اهتمامه هذا بمثابة وضع حد لهذه التيارات"[1] .

ولعلّ من أبرز ما تميز به أسلوب **الرّافعي** في تحليلاته لأحاديثه **صلّ الله عليه وسلم** أنه لم يبالغ ويدقّق في تفسيراته اللغوية والبلاغية فكان في الكثير من الأحيان ما يمزج بين انطباعاته النفسية و نظرياته التأمليّة فتأتي في شكل عبارات وصفية أدبية.

[1] – بن عيسى بن طاهر، البلاغة النبوية في منظور الرافعي، ص81.

خـاتـــمـــة

نصل في ختام هذه الدّراسة التي حاولنا من خلالها الكشف عن بلاغة الجملة في التّعبير النبوي من خلال النموذج التّطبيقي لكتاب " **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**" إلى جملة من النتائج مفادها:

أن البلاغة العربية علم من العلوم الأصيلة والعريقة، التي تقاطعت مع مختلف علوم اللغة العربية الأخرى (الصّرف، النحو....)، واختلف العلماء في إعطاء مفهوم شامل للبلاغة فمنهم، من رأى أنّ البلاغة هي إبلاغ المعنى للسامع دون تكلّف وتعقيد بمعنى أنه ربط البلاغة بالفصاحة، ومنهم من يرى أنها إيصال للمعنى دون حشو وإطناب أي فصل البلاغة عن الفصاحة.

ومن أبرز النقاط المميزة للفرق بين القول والكلام ،أنها تتجلى في الفعل الإنجازي؛ بحيث أن القول جانب تطبيقي إنجازي ،أما الكلام جانب نظري فقط، فكل كلام قول وليس كلّ قول كلام.

يعد ابن هشام الأنصاري من الأوائل الذين التفتوا إلى دراسة الجملة دراسة دقيقة، من شتّى جوانبها إذ أنه خصّ بابا منفردا من أجل ذكر مفهومها وأقسامها ،كما أضاف قسما ثالثا غير الإسمية والفعلية وهي الجملة الظرفية .

-اتصف وتميز نحو الجملة بمجموعة من السّمات جعلها تنفرد وتتميز بها عن نحو النّص وهي الإطراد الإقتصار، الإطلاق، المعيارية وهذا ما جعلها تستكين وتثبت في كلّ العصور والأزمنة.

-بما أن الجملة تعدّ من الركائز الأساس في فهم أي كلام، فالبلاغة تكون فيها لا في الكلام .

-تعدّ نظرية النظم التي أثبتت التكامل المعرفي الموجود بين النّحو والبلاغة، وذلك عندما تحرّرت من قيود المصطلحات والقواعد والقوانين الجافة، وهو ما يسمى اليوم بعلم المعاني وعلم الدّلالة فأبانت عن لبّ معدنها الأصيل الذي كان متسترا وهو شقّ النّحو المنبثق منها.

-تعدّ الكناية إحدى الصّور البيانية التي توضّح موطن بلاغة الجملة من خلال غرضها البلاغي ألا وهو تأدية المعنى في قالب فني جمالي دقيق مع حسن التّصوير.

-إهتمّ الرافعي إهتماما واسعا وبالغا بالبلاغة النبوية، وهذا يتّضح من خلال إفراده جزء كامل خاص بالبلاغة النبوية في كتابه إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية.

-تميّز أسلوبه صلّ الله عليه وسلم بالإيجاز وقلّة الألفاظ، والدّليل على ذلك أنه أوتي جوامع الكلم، و إبتعد عن التعقيد والإسهاب والإطناب والجنوح إلى السهولة والبساطة، فكان يخاطب كل فئات المجتمع فأصبح أبرز مثال في البلاغة والفصاحة، فأعجز قومها على الوصول إلى ذلك السّمو والإرتقاء في طرح المعاني، واستطاع لمس قلوب قوم عرفوا بالنزعة والتّعصب ولان له أشد القلوب قسوة من الحجارة .

-كان **الشريف الرّضي** من العلماء السّباقين إلى دراسة الأحاديث النّبوية جملة وتفصيلا، فكان بمثابة اللبنة الأولى التي استنبط منها العلماء مختلف التّفسيرات لأحاديثه صلّ الله عليه وسلم .

-تكمن قيمة البلاغة النبوية في التراكيب اللّغوية والمقاصد البلاغية الرّاقية، التي جعلتها تعلو عن كلّ كلام العرب بحيث تحتل المرتبة الأولى في ساحات الدّراسات لأنها:

-معجزة خارقة أبهرت العقول وسحرت القلوب، وذلك للعلاقة المميزة التي تجمعها بالقرآن الكريم إذ أن الحديث النبوي الشريف جاء مفسرا وشارحا لما ورد في كتاب الله عزّ وجلّ من حكم ومواعض، فهي بذلك ترسم علاقة تكامل و إنسجام بينهما .

-ومن أبرز تجليات التّرقي اللّغوي في عربية النبي الذي يتضح في جوامع الكلم ، وما هو إلاّ أدلّ الدلائل على ذلك فأثارت الرّغبة الجامحة في نفس الرّافعي من أجل دراسته وتفسيره والتعمق فيه فوفق كلّ التّوفيق في ذلك.

-أشرقت المقاصد البلاغية لعربية النبي ﷺ من خلال الإلتزام بمراتب النظم وتوظيف الذّوق الفني الرّاقي مع مطابقة المقال لمقامه من أجل تحقيق الغاية الأسمى منها وهو التأثير والإقناع النّفسي والعاطفي وحتّى اللّغوي وهذا ما يسمّى ببلاغة الجملة.

وفي الختام ، ختامه مسك وقد قمنا بالتفتيش في البحث والإقتباس في موضوعنا هذا الموسومة بـ" **بلاغة الجملة في التّعبير النبوي**" على قدر مستوانا ونظرتنا له، ونرجو أن يكون بحثنا هذا قد مسّ بعض الجوانب من كلام خير البريّة ، ونأمل أن نكون قد أصبنا قلب الموضوع ولو قليلا، وما بحثنا هذا إلاّ وميض برق في سماء العلم والمعرفة، فإن أصبنا فيه فما هو إلاّ توفيق من عند الله وإن أخطأنا فلنا شرف المحاولة والكمال لله تعالى قال **الله عزّ وجلّ**:" **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**" (طه:114).

قائمة المصادر والمراجع

- **قائمة المصادر والمراجع:**

❖ **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .**

❖ **الحديث النبوي الشّريف.**

مصادر ومراجع:

1-أبو هلال العسكري، **الصناعتين الكتابة والشعر**، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط1، دار إحياء الكتب العربية ، 1952.

2- ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة** ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، 1402هـ- 1982م.

3-ابن مالك، **ألفية**، تح: سليمان ابن عبد العزيز العيوني، د ط، مكتبة دار المناهج، الرياض ، دت.

4-ابن جني، **الخصائص** ، تح: محمد علي النجار، دط، عالم الكتب المصرية ،ج1، 1371هـ-1952م.

5-آن روبول جاك موشلار، **التداولية اليوم علم جديد في التواصل**، تر: دكتور سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني ، مر: لطيف زيتوني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان،2003.

6-أحمد حاطوم، **اللغة ليست عقلا من خلال اللسان العربي**، دط، دار الفكر اللبناني، بيروت، دت.

7-أحمد مطلوب و أحمد حسن البصير، **البلاغة والتطبيق**، ط2، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 1999م.

8-إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

9-أحمد عفيفي، **نحو النص اتجاه جديد في الدّرس النحوي** ، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة – مصر،2001م.

10-تمام حسان، **العربية معناها ومبناها**، ط2، الهيئة المصرية العامة، م1979.

11-جار الله أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري، **المفصل في علم العربية**، دط، مطبعة التقدم، بمصر 1323هـ.

12-جلال الدين السيوطي، **الأشباه والنظائر**،تح: عبد العالي سالم مكرم،ط1،مؤسسة الرسالة بيروت،1995م.

13-جمال الدّين ابن هشام الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دط، دار الفكر بدمشق، ج1،دت.

14-جورجي شاهين عطية، **سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان**، ط4، دار الريحان، ، بيروت، د ت.

15-الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني، البيان، البديع)**، وضح حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،1424هـ-2003م.

16-الشريف الرضي، **المجازات النبوية**، ط1، مكتبة لسان العرب،1422هـ.

17-الشيخ لخضر حسين و الشيخ الأزهر، **دراسات في العربية وتاريخها**، ط3، المكتب الإسلامي، دمشق د ت.

18-علي الجارم ، مصطفى أمين، **البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع**، ط1، دار المعارف، 1999م.

19-عبد اللطيف سعد عبد العزيز مصلوح، **نحو العربية**، ط1، مكتبة دار العروبة،ج3، 1422هـ-2001م.

20-عبد الفتاح لاشين، **التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني**، دار المريخ المملكة العربية السعودية - الرياض، 1980م.

21-عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تح: محمود محمد شاكر، دط، مكتبة الخانجي ، القاهرة، دت.

22-عباس حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني**، دط، دار الفرقان للنشر والتّوزيع، عمان-الأردن دت.

23-د عبد العزيز قلقيلة، **البلاغة الإصطلاحية**، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1412هـ-1992م.

24-عيسى علي العاكوب، سعيد الشتيوي، **الكافي في علوم العربية المعاني البيان البديع**، د ط، الجامعة المفتوحة الإسكندرية، 1993م.

25-فاضل صالح السامرائي، **الجملة العربية تأليفها وأقسامها**، ط2، دار الفكر ، 1427هـ-2007م.

26-فرديناند دي سوسير، **محاضرات في الألسنية العامة**، تر: يوسف غازي، دط ،المؤسسة الجزائرية، دت.

27-فاتح مرزوق، **التقديم والتّأخير في الجملة العربية**، دط، نشر نور، 2019م.

28-مصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، راجعه: درويش الجويدي، دط، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت، 1424هـ-2003م.

29-مصطفى حميدة، **نظام الإرتباط والربط في تركيب الجملة العربي**، ط1، الشركة المصرية العالمية، لبنان، 1997م.

30-مصطفى الغلاييني، **جامع الدروس العربية**، ط28، المكتبة العصرية صيدا، ج1، بيروت، 1414هـ-1993م.

31-محمود سليمان ياقوت، **النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم**، ط1، مكتبة المنار الإسلامي الكويت، 1417هـ-1996م.

32-ميشال زكرياء، **الألسنية علم اللغة الحديث**،ط2،المؤسسةالجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،1985م.

- **المجلات والمقالات:**

1-محمد بن صالح، **علاقة النظم عند عبد القاهر الجرجاني**، جامعة مسيلة الجزائر، مجلة الباحث فصيلة دولية أكادمية محكمة، العدد09، أفريل 2012.

2- بن عيسى بطاهر، **البلاغة النبوية في منظور الرافعي**: قراءة في المنهج، م ج 16، العدد32، 1434هـ-2012.

- **المواقع :**

1-الجزيرة، الموسوعة مصر، www.aljazeera.ne.2014/12/13 .

2- مؤسسة هنداوي www.hindawi.org.2024.

فهـرس الموضوعـات

▪ آيات الإستفتاح	
▪ مكانة عربية النبي ﷺ	
▪ إهـداء	
مقدمـة	أ-ج
مدخل مفاهيم ومصطلحات	
1- البلاغة Rhéorique	**05**
2- الجملة Phrase	**07**
3- الكلام Parole	**08**
4- القول Dire	**09**
5- هل هناك فرق بين الكلام Parole والقول Dire ؟	**09**
الفصل الأول : بناء الجملة بين قواعد النحو ومقاصد البلاغة	
أ. **الجملة من منظور نحوي :**	**12**
1- الجملة المفهوم والأقسام	**12**
2- عناصر تأليف الجملة	**14**
3- علاقات الربط في تركيب الجملة العربية	**16**
4- المقصود بنحو الجملة	**18**
5- صفات وموائز نحو الجملة ودور علوم البلاغة الثلاث البيان ، المعاني، البديع	**19**
ب. الجملة من منظور بلاغي :	**21**
1- هل البلاغة والنحو علم أم علمان؟	**21**
2- العلاقة بين النظم والنحو.	**23**
3- مفهوم بلاغة الجملة .	**26**
4- بلاغة الجملة من منظور الكناية.	**27**
5- الفرق بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم.	**29**
الفصل الثاني: الإشراق البلاغي في عربية النبي ﷺ	
أ.الإشراق البلاغي في عربية النبي من منظور الرافعي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية	

1- التّعريف بالمدونة وصاحبها.	**33**
2- مفهوم البلاغة النبويّة عند الرّافعي.	**34**
3- نماذج تطبيقية في بلاغة الجملة من منظور الرّافعي.	**36**
4- نسق البلاغة النبوية عند الرّافعي.	**39**
5- خصائص البلاغة النبوية عند الرّافعي.	**41**
ب.الإشراق البلاغي في عربية النبي من منظور الشّريف الرّضي في كتابه المجازات النبويّة.	
1- نماذج تطبيقية من بلاغة الجملة عند الشّريف الرّضي.	**43**
2- الترقي اللغوي في عربية النبي من خلال المدونتين.	**51**
خاتمة	**58**
قائمة المصادر والمراجع.	**61**
فهرس الموضوعات .	**65**
ملخّص.	

ملخص:

تهدف هذه المذكرة الموسومة: بلاغة الجملة في التعبير النبوي عند الرافعي قراءة وصفية إلى تبيان بلاغة الجملة في عربية النبي ﷺ وذلك من خلال كتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ولقد عالجنا النسق البلاغي من حيث التراكيب والأساليب والمقاصد، كما بينا سرّ الإشراق البلاغي في التعبير النبوي المتمثل في جوامع الكلم، والذي عرف بقلّة عدد حروفه وكثرت عدد معانيه ، ونزّه عن التكلّف وجلّ عن الصنعة وتوصلنا في الأخير إلى حصر موائز فرادة البلاغة النبوية التي عجزت أمامها بلاغات أبلغ فحول العرب.

الكلمات المفتاحية:

بلاغة الجملة، نحو الجملة ، عربية النبي، الفصاحة، النظم ، الوصف، الموازنة.

Summary:

This memorandum, tagged with: The eloquence of the sentence in the Prophet's expression when reading a descriptive reading, aims to show the eloquence of the sentence in the Arabic of the Prophet (pbuh) through the book of the miracle of the Qur'an and the eloquence of the Prophet. We have dealt with the rhetorical pattern in terms of structures, methods and purposes, as we have shown the mystery of the rhetorical radiance in the prophetic expression represented in the mosques of speech. He was known for his low number of letters and his multiplicity of meanings, and his disregard for cost and most of the work, and we finally reached an inventory of the advantages of the uniqueness of prophetic rhetoric, which was unable to communicate the most eloquent Arabs.

Keywords:

Sentence Eloquence, Towards Sentence, Arabic Prophet, Eloquence, Systems, Description, Balance.

Résumé:

Ce mémorandum, marqué par : L'éloquence de la phrase dans l'expression du Prophète à la lecture d'une lecture descriptive, vise à montrer l'éloquence de la phrase dans l'arabe du Prophète (pbuh) à travers le livre du miracle du Coran et l'éloquence du Prophète. Nous avons traité le modèle rhétorique en termes de structures, de méthodes et de buts, comme nous avons montré le mystère du rayonnement rhétorique dans l'expression prophétique représentée dans les mosquées de la parole. Il était connu pour son faible nombre de lettres et sa multiplicité de sens, et son mépris pour le coût et la plupart du travail, et nous avons finalement atteint un inventaire des avantages de la singularité de la rhétorique prophétique, qui a été incapable de communiquer les Arabes les plus éloquents.

Mots-clés :

Phrase Eloquence, Vers la Phrase, Prophète Arabe, Eloquence, Systèmes, Description, Balance.